حريق الفسطاط

مسرحية

رامى البكرى

مؤسسة يسطرون للطباعة والنشر والتوزيع

رئيس مجلس الإدارة

عماد سالم

المدير العام

أحمد فؤاد الهادى

مدير الإنتاج

أحمد عبد الحليم

الطبعة الأولى
الكتاب : حريق الفسطاط
المؤلف : رامى البكرى
لوحة الغلاف : وليد يوسف
إخراج عام : أحمد عبد الحليم
المقاس ١٤ × ٢٠
رقم الإيداع : ٥٨٨٤ / ٢٠١٨
الترقيم الدولى : 978 - 977 - 776 - 646 - 3

العنوان : المكتبة والمطبعة : ٣ ش صفوت - محطة المطبعة شارع الملك فيصل - الجيزة
التليفون : ٠١٢٢٩٣٠٠٠٢٩ - ٠١١٥٧٧٦٠٠٥٢

Email : yastoron@gmail.com

موقعنا على الفيس بوك : مؤسسة يسطرون لطباعة وتوزيع الكتب

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

تقديم

عبد الغني داوود ..

حريق الفُسطاط ..

حين أقدم للقارئ العزيز النص المسرحي "**حريـــق الفســـطاط**" للكاتب الصديق رامي البكري، فإني أُدرك مدي الجهد الذي بذلـــه وعايشته معه علي مدي عام كامل، وربما أكثر لينهيه بشكل يتناسب والحدث الكبير، وهو حرق الفسطاط أول عاصمة للدولة الإسلامية في مصر .

وإني هنا أعتبر المؤلف قد عثرعلي "**حفرية**" تاريخية تصلح تمامـــاً كمادة مسرحيةخام لعمل مسرحي جاد، إذ قام الكاتب بإختيار زمن كثرت فيه واشتدت الفتن والمؤامرات، وتعرضت المحروسة وقتـــذاك لطمع الطامعين من كل اتجاه, مابين الصليبيين والدولة الفاطمية الـــتي

كانت تحتضر علي أيدي ذئاب السلطة من كُلِ لون، وكذلك الإمارة التي صعدت قوتها في الشام تحت زعامة أمير حلب "نور الدين زنكي بن محمود"، وقائد جيشه "أسد الدين شيركوه"، وابن أخيه "صلاح الدين الأيوبي" وأطماع الإستيلاء علي مصر وإسقاط الدولة الفاطمية.. ألا يشبه ذلك الموقف التاريخي موقف أمتنا العربية الآن وما آلت إليه من تشرذم وتمزق وانقسام ؟ تتكالب عليها وتناوشها الذئاب من كل جانب...

وللحق فقد استطاع رامي البكري أن يجسد صورة صادقة لجانب من جوانب تلك الصراعات التي شهدتها مصر في فترة كانت فارقة من فترات تاريخها الذاخر، في هذا النص المسرحي الذي كتبه بلغةٍ بسيطة قريبة من المتلقي، وفي لوحات جمالية درامية مشوقة، والذي يعد النص المسرحي الخامس للكاتب، وفيه نلمس النضج في رؤاه، والتطور في إمكانياته الإبداعية .

مقدمة ونبذة تاريخية بقلم المؤلف..

كانت البداية عندما وقعت في يدي رواية "**سِيرة شُجاع**" للكاتب والأديب علي أحمد باكثير ١٩١١٠-١٩٦٩، الذي كان مولعاً بمزجِ مُنتجه الأدبي روايةً كانت أو شِعراً أو مسرحية، بالتاريخ، وخاصةً تاريخنا العربي الذاخِر، وللتذكرة، فقد كانت رواية "**سيرة شجاع**" مقرراً دراسياً للصف الأول الثانوي من قبل وزارة التربية والتعليم في الجمهورية العربية المتحدة في سوريا ومصر عام ١٩٦١زمن الوحدة.

وتلك المسرحية التي بين يدي القاريء – حريق الفسطاط – ليست إعداداً لرواية الأديب الكبير "**باكثير**" وإنما أردتُ ذِكر ذلك تحيةً لروحه، ولروايته التي بثت في الفضول والحماس للبحث في تلك الفترة التاريخية الفارقة والهامة من تاريخ مصر العظيمة التي صمدت وصمد شعبهاعلي مرالسنين الطويلة علي أحداثٍ وتقلباتٍ عِظام، ومن تلك الأحداث الرهيبة حادث حرق مدينة الفسطاط بأمرالوزير "**شاور**"، وزير الخليفة "**العاضد بالله**"، آخر خليفة فاطمي حكم مصر الذي بهزيمته وفراره فُتحت أبواب مصر أمام جيش الأمير "**نور**

الدين" أمير **"حلب"** وقائد جيوشه **"أسد الدين شيركوه"** ومعه ابـــن أخيه يوسف الملقب ب صلاح الدين ألأيوبي، وكما أشرت ليســـت هذه المسرحية إعداداً لرواية، وليست شخصياتها حقيقية، فيما عـــدا شخصية الوزير" شاور" حارق الفسطاط، أما الأحداث فهي ثابتـــة في كتب التاريخ .

أتمني للقارئ العزيز قراءةممتعة، وأتعشم أن أراها علي خشبة المسرح .

رامي البكري...

شخصيات المسرحية

١- *حسام الدين المصري*: قائد كتيبة الفسطاط في الثامنةِ والعِشرين

٢- *فادية* : أو أمُ جابر، أرمَلة شَابة تَعمَل صَيّادة

٣- *صفية* : أمُ سعد أيضاً أرمَلَة شابة، وإبنَة الشيخ عارِف

٤- *الشيخ عارف* : شَيخ في السَبعين، القائد الرُوحي لِكَتيبةِ الفسُطاط

٥- *عابد* : أحَد فِرسَان الكَتيبة الفُسطاطية

٦- *سعد وجابر*: طِفلان فِي السَابِعة مِن عُمرِهِما

٧- *شاور*: آخِر وُزراء الدَولة الفَاطميّة، تجَاوَز الخَمسِين

٨- *زروال*: قائِد الشُرطَة

٩- *قائد الجيش*

١٠- جرجس : شيخ القزّازين

١١- جاسوس شاور

١٢- الأمير حسن شُجاع

١٣- مجموعات وشخصيات ثانوية

*** *** ***

(الفصلُ الأوَل)

(أللّوحَة الأوُلَي)

المنظر : سَاحة واسِعة في قلب مدينةِ الفسُطاط القَديمة، بيوت عَتيقة يميناً ويَساراً لا يزيدَ ارتفاعِها عن طابقِأوطابقين، أسفلَ بَعضها مَحال تُجارية، والطِراز المِعماري يرجعُ لعام ألف (١٠٠٠) ميلادية، وما قبلها ...

الوقت : بينَ العصرِ والمغرِب ..

بعضُ المارةُ في حركةٍدائبة ،من وقتٍ لآخر يَدخُلون ويَخرجُون من المسرح، وفي مقدمةِ المسرَح في الوسط عدد من الأطفالِ يَلعبون، ثم يَشتبك طفلان عُمرهما متقارب بين السابعةِ والثامِنة، وهُما جابر، وسَعد، وفي مشاجرتِهما يَجْذِب كلٌ منهما مَن يَدِالآخر لعُبة، هيَ مَحلُ نزاعِهما، حتي يَسقُط "سعدُ" أرضاً بَعد أن إنتَصرَ عَليْه"جابِر"

سعد : (**ينهضُ وَيتوجَه لجابر يُريدَ ضَربَه**) إنها لُعبتي، أنا الذي عثرتُ عَليها قبلـــك أيُهاالفسُـــطاطي المتسول

جابر : أنا مُتسول أيُها القاهري المُدلَل، سَوف أُعلِمَك الأدَب (**يُوجه إليهِ لكمـــةً لا تُصـــيبه، وفي الوقت نفسه يهرُع إليهما "حُسام" الذي كان يُراقب ما يَحدُث فيُمسك بيـــدي الطِفلـــين ليَمنَعَ تصاعُدَ عِراكِهما**)

حُسام : ما هذا الذي تفعلانَه وتقولانَه أيُها الشـــقيان ، مُنذ متي انقسمَ المصريون وتَحولَوا إلي فـــريقين، قاهريين وفُسطاطيين؟ نحنُ جميعاً شعبٌ واحـــد منذالأزل

سعد : اترك يدي أيها الرجل، إنكَ تؤلمني

حُسام : لن اتركَكُما حتي أعرَف من أنتُما ومـــن أيـــنَ جئتُمتا بما تقولان

سعد : كيف تمسكُني مِن رُسغي وتؤلِمُني هكذا ؟ ألا تعرِف مَن أنا وإبنِ من ؟

حُسام : مَن تكونَ أيها الغُلامُ المَغرور

سعد : إن جَدي مِن أكبرِ تُجارِ الصوفِ والحَريـــر في القاهرة

جابر : (**يُناجزَه**) وانا أبي كان صياداً قوياً مشهوراً

حُسام : تتفاخران بحسبِكما ونسبِكما وتأتيان بأفعالٍ لا يأتي بها الدهماء والسُوقَة (**ينتهزُ الغلامُ جابر إنشِغال حُسام بالكلامِمع سعد ويَملصُ يَده من قبضتِة ويَركُض ثم يَقف بعيدًا في تحدٍ يُراقِب الموقِف، في تلكَ اللحْظة تدخُل"صفية" أُم سعد، مُسرعة فتنقضُ تُخلِص إبنها من قَبضةِ حُسام**)

صفية : (**بانفعال**) ألا تَخجَل مِن نَفسك وأنتَ تَضرِبُ طِفلاً أيُها الرجُل، إ ترُكُهُ وإلا قتلتُك

حُسام : (**وقد فوجئ بها**) هه ! ما هَذا ؟ مَن أنتِ؟ أُقسِم أني لم أضرُبه، أنا فقط كُنتُ.أفضُ مشاجرتِه معَ هذا الصَبي (**يُشير إلي جابر**) أليسَ كَذلِك

سعد : بل ضَرَبَني يا أُمي

صفية : طويلٌ عريضٌ وتكذِب، سَوفَ أشكوكَ عندَالقاضي، أتضرُب إبني مِن أجلِ إبنك أيُها القاسي الغليظُ القلب

حُسام : إبني؟! إنَ هذا الغُلام ليس إبني، فَقط رأيتُهما يتشاجَران فَفرقتُ بينَهُما

جابر : (**وهو مازال مُلتزماً مكانه بعيداً**) أنا لستُ إبنَه يا خاله، وهذا الرجُلُ لَم يَضرُب إبنَكِ، إنهُ لا يكذِب وكُل ما قَالَه لكِ صِدق

صفية : (**يبدو عَليها قليلٌ مِنَ النَدم، وتضُم سعد في حَنان وتُوجه له كلامها**) ألم أقلُ لك لا تَلعب في الطريقِ معَ السُوقَةَ مِن أطفالِ الفسُطاط

حُسام : هَا، الآنَ عرفتُ مِن أين جَاء ابنك هذا بما قَالَهُ لِلوَلَد وهوَ يتَشاجَر مَعه أنتِ التي علَمتِيه أنَ في مِصر فَريقين، قاهريينَ من جنسٍ نَقي، وفُسطاطيينَ أدنَي مِنهُم، يَجبُ أن تَخجَلي من نَفسك أيُتَها المرأة، كيفَ تَفعلي هذا؟ ومُنذ متي والمصريون منقسمون إلي نَوعَين؟

صفية : (**تُبدي خجَلَها**) أنا لَم أُعلِمَه ذلك ولا أعرِف مِن أينَ أتي بهذا الكَلام، إني أؤمن بكلامِك، ثُم إني إن أكُن قاهرية،أؤمن أن القاهرة والفُسطاط بلاد مِصر

حُسام : حسناً، أرجو ألاتبُثي فِيه الكِبر، والتعالي، والآن خُذيه وانصرفي (**يبدو أنه قد لَمح جمالَها**

فخافَ فتنتَها) هيا (**مُشيحاً بِوجهِهِ عنها**) أعوذُ بالله مِن فِتنَتِك

صفية : تَعالي هُنا أيها المُتغطرِس,من أنت لتكُلمُني بتلك اللهجه، ألا تعرِف مَن أنا؟

حُسام : هه، ها أنتِ تتكلمينَ بِنفسِ غُرورِإبنك، تتَكبرينَ وتتعالين، ألم أقُل لكِ أنكِ زرعتِ في رأسِ هذا الولد كُلَ سُوء

صفية : (**وقد بدأ صوتُها يرتفِع وتتَعصَب**) أناامرأةٌ سيئة؟ كيف تَجرؤ أن..... (**في تِلك اللَحظة يدخُل الشيخ عارف**)

عارِف : ماذا يَجري هُنا؟ مَن؟! صفية وسَعد,وحُسام أيضاً (**يُرحِب بحُسام ويصافِحَهُ ويُعانقهُ بحرارة**) أينَ أنت لقد أرسلتُ وراءَك و لمْ أجدُكَ بالبيت

حُسام : (**وقد أخذتهُ الدهشةُ تماماً كما بَدت علي صفية**) وأنا أيضاً كُنتُ...ثُم رأيتُ الغُلامَين .. المُشاجَرة .. أقصُد السيدة.. (**يرتبك في الكلام**)

عارِف : إنها صفية إبنتي وهذا ابنهَا سَعد

حُسام : (**في دهشةٍ بالغة**) إبنتَك!تقولَ ابنتَك يا شيخَ عارِف، وهذا الغُلام ..

سعد : (**مُحتمياً بعارف**) جدي جدي

صفية : أتعرِف هذا الرَجُل يا أبي

عارِف : ومن لايعرِفهُ يا صَفية، إنهُ فارِسُ الفسُطاط مدينة مصر، البطلُ حُسامُ الدين المصري

صفية : حُسامُ الدين؟!!

عارِف : نَعم حُسامُ الدين، حُسامُ الدين إبن الفسُطاط وقائد كَتيبتِهَا التي تَحمِيهَا مِن الفِرِنْج واللصُوص، ومُرتَزقَة الخليفة ومُرتَزقة وُزرائِه، هُوَ بِعَينِهِ، كَمْ حَكيتُ لَكُم عَن جَسارَتِه وبُطولاتِه

صفية : حسام الدين المصري هذا الذي كثيراً ما حَكيت لنا عَنه (**تَدورحَول حسام تتفحَصه بعينيها في دهشةٍوإعجاب**)

عارِف : هو بعينه يا أمُ سعد

جابر : (**متهكماًمن مكانه حيث يقُف بعيدا**) الآن يجب أن أخشي عَلي نفسي منكُم

صفية : (**متلعثمة**) إنني، إنني خجلي يا سيدي، من لا يعرِفك يجهلَك

حُسام : خير يا أم سعد، خير، أرجو أن يُسامحني سعد، فربُما ضغطتُ علي يدِه أكثرَ من اللازِم، كُنتُ مُنفعلاًمِما سمِعتُهُ من الولدين

سعد : هل أنتَ حقاً بطل ؟

حُسام : يقولونَ هذا يا سعد، ولكني لستُ إلا رجـــلاً يُحب بلدَه

سعد : عندما أكبر سأكونُ بطلاً مثلك

جابر : (**وقد بدأ يقترب قليلاً**) أنا الذي ســـأكُون بطلاً عندما أكبر

حُسام : (**مُشيراًإليه**) تعالي أيها الغلام

جابر : أنا لا آمن لك ولا لكُم جميعاً

حُسام : لا تخَف، أنا أعطيكَ الأمان، لقَد إعتَقَـــدَت أمُ سعد أني والدك، وأنت فِعلاً كإبني (**ينظُر في مكر إلي صفية**) أنا لم اتزوج بعـــد، مازلـــتُ أعَزَباً، ما اسمك يا غُلام؟

جابر : (**وقد شعر بالأمان واقتربَ من حُسام**) إسمي جابر، أنا بن المرحوم شاكر الصياد

عارِف : أنت إبن فادية صيَادة السمك ؟

جابر : (**غاضباً أن ينطق عارف إســـمَ أمِـــه**)، أيُهـــا الشيخ، لقد قلتُ أنا جابر بن شاكر رحِمَه الله، لا تنطِق باسم أمُي هكذا

حُسام : (**يضُمه حانياً ومُعجباً بشجاعته**) أنت ولدٌ شهم، وستكونَ بطلاً كما سيكونَ سعدُ بطلاًأيضاً، والآن ألا ترَيان أنكُما لابد وأن تتصافَحا وتتصَالحا وتكونا صديقَين

سعد : هو الذي ..

حُسام : عِند الصُلح ننسي مَن الذي بدأ المُشاجرة، أو مَن المُخطئ، هيا تصافحا (**يتصافَح كلٌ من الغلامين، ويتعانقان مبتسمَين، وفي تِلك اللحظة تماماً تدخُل "فادية "أمُ جابر حيث يبدو عليها الإنزعاج عندما تري ابنها بين هذا الجمع فتثب كالوحش تسحبُه وتنتحي به جانباً**)

فادية : ما الذي يحدُث هُنا ؟ جابر إبني، هل اعتدي عليكَ أحَد يا بُني

عارِف : إلقي السلام أولاً يا أمَ جابر، لم يؤذه أحد، غايَة الأمر أنه تشاجر مع حفيدي وقد صَالحهُما السيد حسام

فادية : (**وقد هدأت**) إطمأن قلبي عِندما شاهدتُكَ موجوداً يا شيخَ عارف (**لجابر**) لا تَخَف يا

حبيبي (**تُحاول إحتضانه فيفلِت مِنها**)

جابر : أرجوكِ يا أُمُي لا تُدلليني أمامَهم فأنا سَوف أصبح بطلاً وألأبطالُ لا يُدللون (**جميعُهم يَضحكون**)

حُسام : لا تخجل يا جابر فالأبطال أيضاً تدللهُم أمهاتُهم (**يزيدُ الضحِك**)

عارِف : هذا بطلُنا حسام الدين يا أم جابر، وهذه أم جابر يا حسام، (ثُم، مُشيراًإلي صفية والباقين) إنها صفية ابنتي، أمُ سعد، وهذا سعد ولَدَها، وأظنُك تعرفين السيد حسام فارس الفسُطاط

فادية : (**تتطلَع ملياًإلي حسام وتدُورحوله نصفَ دورة**) ومن لا يعرِف البطلَ المغوار حُسامُ الدين قائد كتيبَتنا، ولكن لماذا تشاجر الغُلامان؟

حُسام : لقد اتفقنا ألا نسأل عن سببِ المُشاجرة كشرطٍ للمُصالحة، (**جانبا**) أنتِ تعرفينَ الغِلمان في هذا العمر

عارِف : (**يُكمل التعارُف بينهم**) إنها السيدة فادية أمُ جابر، أرمَلة شاكر الصَياد

حُسام : فطِنتُ ذلك عِندما قال جابر "ألمرحوم أبي"، أما عندِك أبناء غيرَ جابر (**نلحَظ أنَ شيئاً ما قد جذَب حسام نَحوها، فهي جَميلة، شامِخةَ القَد مَمشُوقَتهُ**)

فادية : لا، لم أُنجب غيرَ جابرالذي جبرَ اللهُ خاطري به

حُسام : فليحفظهُ اللهُ لكِ

عارف : إنها امرأةٌ مُكافحة، فهي تَقودُ المركِب الذي ورثته عن زوجها وتصطادَ السَمَك مِن نيلِ الفُسطاط وتبيعَه علي الشط عصركُل يوم

جابر : وانااصطادُ مع أُمي أيضاً، وأبحثُ معها عن الذين قتلوا أبي

حُسام : (**في دهشةٍ وتأثُر**) هل حقاًقُتِلَ زوجُكِ؟!

فادية : قُتِلَ غدراً وغيلة

حُسام : من قتله ؟ ولماذا قُتِل ؟

فادية : آه لو أعرِف قاتله ..(**تتوسط المسرح وتنطلِق تَحكي في تأثُر بالِغ**) آه يا شاكر.. قتلوكَ في يومٍ أسوَد رغمَ شُروق شمسه قَتلكَ وغدٌ كلب، لو أعرِفُهُ وأطولُ عُنقِه لمزقتُهُ تمزيقاً ،كُنا في العصاري وسَطَ النيل و لم نكُن لَلمنا الشبَكَ

بَعد (**وكأنَها تُكلمه**) أبا جابر، أفلا نعود قبلَ المغارِب والظلام (**وتُقلده مُسترجعة**) سوف أسحبُ الشِباكَ الآن، ضُمي الشَبَك، ضُمي الشَبَك ولِمي السَمَك يا أمَ جابر..آخر ما قال، لمي السَمَك يا أمَ جابر.... لم يكد ينطقُها إلا رشقَ السَهمُ الطائشُ في قلبِ الطودِ الواقفُ الشامخُ فاهار، وخَرّ يهوي في الساري الذي تحته، فاختلط ماؤه بدمِه، صرَختُ مَجنونة وأنا أري يديه تغوصان مُمسكَتَين بطرفِ الشَبَك، والسَمكُ يقفِزُ وراءَهُ، وكأنهُ يهرُع لينقِذَ الغريقَ الجريح ، ولكن هيهات أن يُنقَذَ مَن يُصِرُ الموتُ علي اختِطَافِه ... راحَ أبو جابر، راحَ شاكِرربَهُ، إبتلعهُ إلهُ الرزق (**الجميعُ الآن مُتأثرونَ بأداء فادية وحِكايتها...**)

حُسام : (**يُحاول أن يُغير جَوَ الحُزن سريعاً**) رحِمَهُ اللهُ، كأنكِ شاعِرة ياأمَ جابر، وأيضاًراوية" بارِعة (**يبدوعليه ألإعجَابُ بها**)

(**تبدأ علاماتِ التأثُر تظهَر علي صفية فتكاد تبكي، إلا أنَ شُعورَها بالغِيرة يَطغي عليهَا بعدَما لاحظَت إعجابَ حسام بفادية**)

صفية : لقد سمِعنا هذه الحِكاية منذُ ثلاث سنوات تقريباً,وأظنُها مُدةلاتُناسِب هذا. الآداءُ المُبالِغ

فادية : (**تُكمل**) أغزِل حكايتي بحُزني وأدعو الله أن يَرحم لوعَتي ويكُفَ دمعي

حُسام : (**رغم تأثرُه يبتسِم وينظُر إلي فادية بإعجاب**) الحمدالله الذي عوضِك. بجابروالموت على رقابنا فهُو اليقين، وأنا أراكِ مُكافحة،كريمةَ الأصل، مُخلِصةً لذِكري أبي جابر

صفية : (**مُنفعلة وقد ظَهرت عَليها علاماتُ الغِيرة، لإهتمام حسام بفادية، وملاحظَتِهالنظراتِ الإعجابِ في عينيه**) أنا أيضاً قُتل زَوجي وترَكَ لي إبني سعد .

حُسام : (**مُندهشاً مِن المُفاجأه**) ما هذا ؟ أنتِ أيضاً أرملة وقُتِل زوجك ؟!!

صفية : نعم قُتل غدراً وسُرِقَت أيضاً بضَاعتهُ

حُسام : نعم نعم، تذَكرتُ الآن، لقَد سَبق وحَكيتَ لي يا شيخ عارف ذلِك عَن ابنتك

عارِف : حقاً لقد حكَيتُ لك عن هذا، إن هُو إلا قضاء الله الذي ليسَ مِنهُ مَهرب

حُسام : (**يُحدث نفسَه جانباً**) أرملتان جميلتان ولـــدي كُلٍ مِنهما غُلام، ياللمُصَادفة! ويالتشابُه الأقدار

عارِف : (**يُكلم حسام جانباً بصوتٍ مُنخفِض**) لا تنس يا حُسام الأمرَ الذي أرسلتُ وراءَك مِن أجلِـــه فليسَ لَدينا وَقت

حُسام : إن دهشتي وتأثري بأمُ جابر وأمُ سعد كـــادت تُنسيني فعلاً ذلك الذي حضرتُ مِن أجلِه

عارِف : ساسبقُك إلي حيث نجتمِع (**بصوتٍ منخفض**) إلي غرفة فادية أمُ جابر المكانُ هُناكَ أمانٌ جداً، ولن تُمانِع إذا طلبتُ مِنها ذلك، وسَوفَ أُبلِـــغ الرِجال ذلك، أنت تعرِف مكانَ غُرفتها طبعاً

حُسام : أعرِفهُ تماماً علي شطِ النيل، بَعدَ مَرسَي المراكِب

عارِف : تمام، هو ذاك (**يقترِب مِن فاديـــة، يُحَـــدِثَها جانباً**) هل تُمانعين أن أجتمِع.برجال الكتيبـــة عندك يا أم جابر؟إن مكانَ غُرفَتِك بعيدٌ عَـــن العُيون وأظُنه مكاناً مأموناً لنا، إن لم يُســبِب ذلِك إزعاجاً لكِ طبعاً

فادية : أهلاً بِكم في أي وقتٍ يا شيخ عارف، إعتبرني من تلك اللحظة أحد أعضاء كتيبة الفسطاط

عارف : هذا تماماً ما توقعته منك يا أم جابر (**ثُـــم إلي فادية وسعد**) هيا، هيا بنا.ياصفية، هيا بنا يـــا سعد

سعد : (**لجابر**) سوف نلتقي يا صديقي لنلعَب معاً

جابر : ستجدَني دائماً علي ضفةِ النيل بجوارِ مركِـــب أبي

(صفية تتبع أباها وهي تتثاقـــل في مشـــيتِها كارهة أن تترُك حُسام مَع فاديـــة ، ولكِنـــها تقوم بتحيتِهما)

صفية : إلي اللقاء، سوف نتقابل يا أمُ جابر (**ثمُ لحُسام في دلال واضِح**) لقَد تشرَفتُ بمعرِفـــةِ البَطـــل حُسام الدين، ومِن المُؤكد أننا سنلتقي (**تخرُج**)

فادية : (**لصفية**) ستجدِينني عندَ ضفةِ النيل، بعدَ عصرِ كُل يوم أبيعُ السمَك (**تلوح لهـــا**). ســـوف أنتظرُك لتشتري مِني

حُسام : **(وكان مازال يُراقِب مُغادرة صفية ويلوح لها علي استحياء ويَده بجانبه)**

فادية : إنها امرأة جميلة وثرية، أتعشَم أن تأتي وتشتري مِني السَمك، وأنت أيضاً أنتظرُ أن تُجرِب طعمَ

السَمك الذي أصطادُه,أنا أصطادُ سَمكاً كبيراً مميزاً

حُسام : للأسف أنني أعَزب ولا أجُيد طهيَ السَمك,رغم أني أُحب أن آكُلهُ، لابأس سَوف آتي لأشتري (**يُطيلُ النظَر إليها يتفحَصَها وقَد وقَعَ في حِيرة بين إعجابه بصفية وإعجابه بفادية**)

فادية : إذا اشتريتَ مِني فسَوف أقومُ بطهيهِ لَك، ولكِن عَليك أن تَنتظِرَني حتي أنتهي مِن البيع ،ولكِنك ستدفِع ثمن الطَهي مُضافاً لثمن السَمك (**هي تتَكلم، بجدِيةولاتبتسِم، فالجَد مِن سِمات شَخصيتها**)

حُسام : يُعجبني نشاطك وجِديتك يا أمُ جابر، إنكِ لا تُضيعين وقتك

فادية : انا أحُبُ عَملي، وأهِب نفسي لتربية جابر مِن كَدي

حُسام : حفظَكِ اللهُ وبارَك لكِ في جابر

جابر : (**وقد ظهرَت غيرتُهُ علي أمهِ مِن حديثِها معَ حسُام**) هيَا بنا يا أمُي قبلَ أن يَحِل الظلام، يَجب أن نعُود إلي غرفتنا

حُسام : هكَذا دونَ أن تصُافحني (**يُمد لهُ يَده ، ويدُس يَدهُ الأخُري في جيبِه يُخرِج سِلسِلة تتدَلي مِنها قِلادة**)

جابر : يَطغي عليه انبهَارهُ بشخصِية حسُام كبطَل فيُصافِحه إلي اللقاء أيُها البطل

حُسام : (**يُقلد جابر بالِسلسلة في عُنقِه بحركةً سريعة**) هَذِه القِلادة هَديةٌ مِني إليك، إنها مِن الفِضة الخالِصة مَنقوشٌ عليها رَسماً للنيل والأهرامات، أرجو أن، تَقبلها لِتتَذكرني بِها

فادية : (**تُبدي تعففُها**) يا سيدي إنها تَبدو غاليةَ الثمَن ونحنُ ..

حُسام : لاتُكملي، رَد الهَدية ليسَ مِن صِفاتِ الكُرماء، ولا تَنسي أنني سوف آتي اليكُم لأتذوَق السَمك

جابر : (**يلتفِت إلي أمُه يَسألها بعينيه إن كان يُمكِنه قَبول ألقلادة، فتُشير إليه بقبولِها**) شُكراً لكَ أيها البطل، لَن أخلعها مِن عُنقي أبداً، حتي أصُبح بطلاً مثلَك

فادية : (**بنفسِ جديتها**) شُكراً لك، ونَنتظِر أن تَفي بوعدِك وتَحضر إلينا

جابر : (**وقد ازدادَ إعجابُه بفادية**) سَوف آتي إلـــيكُم قريباًبعدَ عودتي مِن القاهرة

فادية : تعودَ سالماً بإذن الله، إلي اللقاء أيُهـــا البطـــل الكريم (**تُعطِيه ظهرَها وتخرُج مُسرِعةً وكأنَهَـــا تهرَب وفي يدِها جابر الـــذي كـــانَ يعبَـــث بالقِلادة في إعجابٍ وفرح**)

حُسام : (**وحيداً علي المسرح يَخطو خَطوتَين وكأنَـــه سيلحَق بهما، ثُمُ يعود إلي مكانه**) إلي اِللقاء يا أمَ جابر، (**ناظراً إلي حيث خرجَت صفية**) إلي اللقاء يا أمَ سعد

حُسام : (**يَسرَح بفِكرِه قليلاً، ثُمُ ينتبـــه، ثُمُ يُحـــدِث نَفسه**) أمُ جابر ؟! أم سعد؟! مَاهذا ؟! ماذا ألَمَ بي؟ يالهُمـــا مِـــن امـــرأتَين ... جَميلـــتَين، ذكِيتَين.... جَذابَتين أرمَلتين ... لِكُلِ مِنـــهما ولد، هذا جابر، وذاك سعد ما أجمَل الأمُومـــة والأبُوة والزواج (**ثم يَلومُ نَفسَهُ**) ماذا حـــدَث لكَ يا حسُام ؟ لم تكُن يَوماً تلتَفِـــت لِجمـــال النساء، لقد قرَرتُ يوماً ألاَ تتزوَج، وها أنـــتَ ذايأخُذُكَ الحَنينُ جارِفاً نَحوَ الزواج، لَم نقُـــم

بعملٍ عسكري مُنذُ فترة، وكذلِك لَـــم أقـــمُ بتدريبِ الشباب مُنذ شهر، أتأخُذك اســـتراحةُ المُحارب لتَتغزل في النساء، لالا، لســـتُ أنـــا الذي يترلِق لهذا، إن إحداهما ابنة الشيخ عارف أبي الرُوحي وصاحِب الأفضـــال والأخُـــري مِسكينة مَكلومة علي زوجِها... يُطوِح يَده في الفضاءِ مُتناسياً هيه، لا وقتَ لديكَ يا حسُـــام للحُبِ والزوَاج، إنَ الهُدوء الذي تعيشَه هـــذِه الأيام ليسَ سِوي الهدوءَ الذي يَسبق العاصِـــفة .... (**تُسمَع في هذه اللحظة أصواتُ جلبـــة وطُبول احتفال، تأتي مِن بَعيد وتقترب**)

حُسام : يبدوأنَ هُناك حفل عُرسٍ قادم، يا لهُ مِن فـــأل، فالأنصرِف للقاءِ الشيخ عارف والرجال، لقـــد أوشك مَوعِدهم أن يحل (**يزدادُ صَوتُ الطبل والزمر وجَلبة القادِمين,وبَعد خرُوج حسُـــام مِن المسرح يبدأ الجَمعُ في الظهور**)

(**يدخُل إلي المسرح تباعاً جَمعٌ مِـــن النـــاس يُهللون فرحاً وتصفيقاً وبَينـــهم عـــدد مِـــنَ الفنانين الشَعبيين بآلاتِهم بَينَ مِزمار وطبـــل**

وأطباق نحاسية، ونري بينَهم مَن يرقصُــون، ونَري أيضاً أحدَ الحُواه، وكــذلك حامِــل" النقرزان " وهو عامود مُزركَش مِــن أحــد أطرافِه التي تنتَهي ب"طاسة " تكون مُمتلئــة بالزلَط والحَصو، لتُحدِثَأصواتَ الشــخللة، وهو تارة يضَعها فوقَ كفِه وتارةً أخري فوقَ أنفِه أو جبينه، الجوُ في مُجملِه جوُ إحتفــالي بَهيج والكل في فرح يُهنئونَ بعضَهُم بَعضــاً، وتَشيع أغُنية تُغني إحتفــالاً برؤيــة هِــلال رمضان، ونَري بعضَ المشايخ يتصَــافحون ثمُ يخرُج إليهِم مِن أحــد المبــاني إثنــان مِــن القسَاوِسة يَبتسمون ويُهنئونَ الناس والمشايخ بحلولِ شَهر الصَوم) وبَينما النــاسُ في هــذا الفرَح والإحتفال يُسمع مِن بَعيد صوتُ نَفــيرٍ قَوي وصُوت حوافِر خَيل قادِمة,فيتَوتَر الجَــو، وتبدو مظاهِرُ الخَوفَ علي الناس ...

أحدُهم : إنهُم جنودٌ قادِمون

آخر : إنهم جنودُ الوزير شاوَر

ثالِث : أو يَكونون جُنود الخليفة العاضِـد أصـواتٌ مُتداخلة مذعُورة : (**لعنةُ الله عليهِم جَميعـاً، أنها ليلةٌ مُفترَجة، غدًا بدايَة. رمضان، مَـاذا يُريدون مِنا نحنُ أهلُ الفسُطاط**)

أحد المشايخ : أيها الناس لعلَ الخليفة العاضِد أو الوزير شاوَر أرسَل مَن يُهنِئ. الفسطاطيين بثبـوتِ الرُؤيـة وليلتَها (**باقي المشايخ والقسيسـين يهُـزُونَ. رؤوسَهُم في مُوافقة علي هذا الرأي المُتفائل**) الصَبر، علينا بالصَبر.حتي نعرِف ما في الأمـر، لعلَهُ خيراً

احدهم : لَم نَرَ مِن ورائِهم يوماً خيراً

آخر : مُنذ بني الفاطِميون "القاهرة" نَسوا الفسُـطاط وأهلَهاوأهمَلوها

ثالث : لا يأتونَ إلينا إلا ليأخُذوا شبَابا للقِتال أو لطلب الضرائِب (**وبَينَ مُؤيد لِهذا ومُعـارِض لِـذاك يدخُل عددٌ مِن الجُنود المُدججين بالسـيوفِ والهراوات إلي المسـرح، فيتفـرَق النـاسُ ويبتعِدون وهُم يُراقِبوُن الجُنود في خَـوف، و يتقدَم "زروال" قائِد الشُرطة وقد راح ينظُـر إلي الناسِ ويصمُت قليلاً,ثُم يتكلَم مُتصـنِعاً**

الصَرامة)

زروال : السلامُ عليكُم ورحمةُ الله وبركاتِه، أيُها النـــاس باسمِ الخليفة العاضِد بالله ووزيرِه الأمير"**شاوَر**" حَفظَهُما الله ورعاهُم وسَددَ خُطاهم، أعُلمكم بالأمرِ الآتي، إعتباراً مِن أولِ رمضـــان هـــذا العام,تقرَر تَحصيلَ خمسة.دنانيرمِن كُـــل مَـــن يمتلِك داراً، وعشرة إذا كان يؤجرها، وعشرينَ إذا كان لها حَديقة مُـــؤجَرة ضـــمنَ الـــدار، وأربعين إذا كانت الحديقـــة مثمـــرة' تُســـدَد نصفُ.هذِه الرُســـوم في مَوعِـــدٍ أقصـــاهُأليوم الخامِس عَشر مِنَ الشهرِالكَريم، والنصف الباقي في مَوعِد أقصاهُ اليومَ التالي لليلةِ القَدر الســـابع والعشرونَ مِن الشهرِ الفضِيل، أطالَ اللهُ عُمـــرَ الخليفة، أطالَ اللهُ عُمرَ الوزير ومَتعَهُم بالعافية، وكُل عام وأنتُم بخَير، تمَ الإعلان وتحت التنفيذ والطاعة، والسلام عليكم ورحمَتِهِ وبرَكاتُه (**ما أن سَمِعَ الناس القرار الذي تـــلاه علـــيهم "زروال" حتي تندلعُ الكلمات التي تُعبـــرعن السَخطِ والرَفض والشُعور بالظم، وتصـــدُر مِنهم جَلبة وهَياج)**

أحدُهم : ما هذا الظلمُ (**إلاَ أنهُ يَختفي بينَ الناس خَوفاً**)

آخر : في ليلةِ رمضان ألإفتِراء علي الناس (**ويَختَبـــئ أيضاً خوفاً**)

ثالِث : وهل فرضتُم مِثلَ هذِه الرُسوم علي أهلِ القاهرة أم هِي فقَط تخُص أهلَ الفسُـــطاط (**ويُخبـــئ وجهَه في الناس وهوَ يتَكلَم، خوفـــاً مِـــن أن يَلمَحهُ الجُنود ويَعرِفوه، في الوقتِ الـــذي لا يهتَم زروال وجنوده بما يقال،كأن الأمـــر لا. يُعنيهِم، فمَا علـــي الرســـولِ إلا الـــبلاغ، فيُديرونَ ظهورَهم بحرَكةٍ مُنظمَة تَتبع . نِـــداء القائد الذي يأمرهُم بالإنصراف والعودة إلي الخيُول التي نفهَم أنهُم. قـــد ترَكوُهاخـــارِج الساحة، ويَنصرِفون**)

(**يُخيم جَوٌ مِنَ الحُزن والإحباط علي النـــاس، وتخفُتُ أضواءُ المسرح تدرِيجياً حتي تُعتِم**)

إظلام

(اللوحة الثانية)

المنظر : المسرَح مُقَسَم الي ثلاثةِ أقسَام، إلي اليَمين بالنسبةِ للمُتفرِج في المُقدِمة، غُرفة فادية، وهِي ذات جُدران حَجَرية، بعضُ الأحجَار مُتناثِرة تُستخدَم كمقاعِد لِلجلوس، وقَد وُضِعَ فوقَ أحَدها فانوس وهُناك شِبَاك صَيد مُدَلاة وحِبال ومِجدَافان وغَير ذلِك مِمَا يُوحي بطبيعةِ المكان، وفَوقَ المسطَبة التي أشرنا إليها نافِذة مُتهالِكة يَظهر مِن خلالِها جُزء مِن النيل.

إلي يسَار المُتفرِج في مُقدِمة المسرَح أيضاً، غُرفة ألوزير"شاوَر" فاخِرة ألأثاث والستائِر,يتوَسَطها كُرسي الوزارة، وهُو عالي الظَهر يتِم الصُعود إليه بدرَجَتين، ويَمين ويسَار الكُرسي مِقعدان أصغر حجماً.

القِسم الثالث هوُباقي المسرَح حيثُ نَفس مَنظَر اللوُحة السَابقة سَاحة مَدينة الفسُطاط ببيُوتِها وحوَانيتِها.

يُضاء قِسمي اليَمين واليسَار طِبقـــاً لعمَليـــة التمثيل، أمَا باقي المسرح أو مَنظَر الســـاحة، فهُو مُضاء باللونِ الأزرَق مُوحياً بوَقتِ أوَلِ الليل

(يُضاءُ الآن يَمين المُتفرِج – غُرفة فاديـــة – ويَظهَر الشيخ عـــارف وبجِـــواره رَجُـــلان جَالِسان، ويَدخُل مِن اليمين ثلاثةُ رجـــال يَخفُونَ وجُوهَهُم ويُحيون عارف والجَالسِين بصَوتٍ هَادئ، ثمُ يَجلِسُون)

عارف : الوَضعُ أيُها الرِجال خطيرٌ فِعـــلاً، نَحـــنُ في إنتِظارِ قدُوم حسُام، فقَد عاد اليـــومَ مِـــن القاهرة

عابد : هل عادَ فِعلاً يا شيخَ عارف

عارف : نعم، لقَد قابلتُهُ قبل المغرِب في ساحة المَدينة وقالَ لي أنهُ سيذَهب يُطمئِن أمُه علي عودتِه

عابد : ولماذا أضَعنا كُلَ هذا الوَقـــت في إنتظـــار عودَتِه، لِماذا لَم نبدأ في تَرحِيل مَن يَجـــب ترحِيله مِن الشيوخ والنساء؟ وكَذلِك نَقـــل السلاح

عارف : ستعرِف كُل شَئ في وقتِه يا عابد، (**يَـــدخُل حسُام مُلثَماً ثُم يكشِف وَجهَـــه ويُحيِـــي المَوجودين ويجلِس**)

حُسام : مَعذِرة أيُها الرِجال علي تأخُري، لقد أصرَت أمُي علي أن أتناوَل الطَعـــام فلَـــم أتـــذوَق طعامَها مُنذُفترَة

عابد : أتأكُل وحدَك أيُها البطل، لِماذا لم تُرســـل ورَاءنا نُشاركك

حُسام : لوأعلَم أنكَ جائِع ياعابد مَاتأخَرت ولكِـــن صَدقني، لقد راضيتُ أمُي بأكـــلِ رَغِيـــف واحِد مَحشو بالّلحم (**يَضحكون**)

عارف : والآن بَعدَ أن انتهَينا مِن الطعَام فلنـــدخُل في الجَد (**يضحَكون**) هَل سَمِعت بأمرِ الضرِيبة الجَديدة التي فرضَها شاوَر والخليفة العاضِد

حُسام : نَعم سَمِعتُ بها وأنا في القاهرة

عابد : أهلُ القاهرة أغلبهُم أغنيـــاء، أمـــا أهـــل الفسُطاط فيعلَم بهِم الله

رجل١ : كُنتُ أظنُها مُناوَرة مِن اللَعِين شاوَر حـــتي نطمَئِن أنه لن يَقتحِم الفسُطاط

عارف : هي هذِه ، وتِلك، المُؤكـــد أنـــهُ ســـيقتحِم الفسُطاط قريباً جـــداً، إنَ جنُـــوده علـــي مشارِف الطَريقِ إلينـــا، وهُـــم في وَضـــعِ استِعداد، ولكِنهُ سَوفَ ينتَظِر حتي يُحَصِّـــل مايستطيعَ تحصِيلَه قبل إقتحِامِـــه، فالخليفـــة العاضِد لا يكُف عن طَلَبِ المالَ منهُ، فَهُـــو الذي مَكّن شاوِر مِن هَزيمةِ خِصمَهُ ضُـــرغام كما تَعرِفون

رجل٢ : مَا الخليفةُ العاضِد إلاّ وَهم، وكُل هذِه خُطط الزبَانية الثلاثة الذين تسلَموا الوِصَاية مُنـــذُ مَوت الخليفة الظافِر ولَم يكُن إبنَهُ العاضِـــد يبلُغ الثانيةَ عشرَة

رجل١ : ألآن هُو في الثانيةِ والعشرين ولا يَعلم مِـــن أمُورِ الحُكم إلاّ جَمعَ المَال لوكـــان يملُـــك ضَمِيراًما ترَك شاوَر يُخـــزِل أســـدَ الـــدين شيرُكوه قائِد جيش نور الدين أمير حلـــب وبيت المقدس، وهُومَن نصَره علـــي عَـــدُوِه الوزير ضُرغام

رجل٣ : لقد تركَه مُحاصراً مِنَ الفـــرنج في بلبـــيس أكثرَمِن شَهرَيّن وَلَولا أن ضَغَطَ نورُ الـــدين

علي الفرنج في بَيتِ المَقدِس، لهَزموا شيرُكوه وابنَ أخِيهِ يوسُف بن أيـــوب، أو صـــلاحِ الدين كَما يُطلِقونَ عَلَيّه

حُسام : النَتيجة جَاءَت وَاحِـــدة، فهَـــاهُوذا شـــاوَر ترَكَهم يَدخُلون القاهرة يَعِيشُونَ في أفخَـــم الترُل ويُمارِسونَ التِجارَة في كُلِ شَئ

عارف : دَعونَا مِن هَذا الآن ولنَتكَلَم عَمّا يَجب عَلينا فِعلَه، فأنا أرَي أن نُقسم أنفُسَنا إلي ثـــلاث مَجمُوعات، مَجموعَةٌ تَقوم بنَقلِ الناس مِـــن الفسُطاط

وأخُري فِي ذاتِ الوَقـــت تَنقِـــلَ السِـــلاح والثالِثة تنقلِ ماخَفَ حَملَه وغَلا ثمَنَـــه مِـــن أموالِ الناس ومُمتلكاتِهم، ومَعَهُم طبعاً مَـــن يَقومُونَ بتَدوِين ذلِك في دَفاتِر لحِفظِ الحقُوق عِند العَودَة للفُسطاط

عابد : هل تتَوقَع يا شيخَ عارف أن تَنتَهي غَـــزوَة شاوَر لنَا سَريعاً ؟

عارف : يعلم الله يا عايد

حُسام : لا أخُفي علَيكُم أن الأمرَ خطِير، لقَد عرفتُ أن أمراًعَجِيباً يَحدُث هُناك، يَبدو أنَ شـــاوَر

يُجهِّز شيئاَ رُبما يكونَ سِلاحاً جديداَ،أو شيئاً لا أعرِف مَا هوُ

جميعهم : **(يتبَادَلون نظراتِ الدهشَة)** سِلاحاً جديداً!!

حُسام : نَعَم، حَتي أولئِك العَاملينَ علـــي تَجهيـــزه وصِناعتِه لا يَعرِفون مَاالذي. يَعمَلونـــه، إنَ سِرَ هذا الأمرُمَوجودٌ في رأسِ شاوَر وحدَه

عارف : أفصِح أكثَر يا حسُام، ماذا رأيت ؟

حُسام : سمِعتُ أنَ"القزَازين"يَعمَلونَ لَيلَ نَهَار في صُنعِ آلافِ القوَاريرالزُجاجية لحِســـابِ الـــوزير شاوَر، وأنهُم يَجعَلونَها ذاتَ حَجـــمٍ و وَزنٍ مُعين

رجل١ : قَوارير ذاتَ وزنٍ معين !؟

رجل٢ : مُنذ مَتي تُوزَن القوارير؟

حسُام : يَقومونَ باختيارِ القوارير بالمِيزان، ومَا يَجدوُه ثَقيلاً عَن وَزنٍ مَا، لا يَستلِموه مِن وَرشـــةِ الزُجاج

رجل٣ : مَاذا سَيفعلونَ بهذِه القوارير ياتُري؟

عارف : ألم تعرِف يا حسُام أين يَذهبونَ بهـــا بَعـــدَ استِلامِها مِن وِرش الزُجاج

حسام : إلي مخازن أعَدوهَا خارِج القاهرة، وقرِيبة مِن الطريق إلي الفسُطاط

عارف : أمرٌ عَجيبٌ حَقاً,ومَا رأي أصدقائِنا في القاهرة في هَذا

حسام : هُم أيضاً يَتَعجَبون ويُحاولونَ مَعرفَة السر، وسَوف يُرسِلونَ لَنا فوراًإمّا رَسُولاً، أو حَمَاماً زاجِل كَما يَفعلون (**فجأة يَطُل الطِفل سعد مِن النَافذة يُطالِع المَوجُودين**)

سعد : جدي جدي..

عارف : مَن؟ سعد ! مَاالذي أتي بِك إلي هُنا ؟

(**يَطُل الطِفلُ جابر برَأسِه إلي جِوارِ رأسِ سعد**)

جابر : أنا أتيتُ بِه، مَن يَقدرِ أن يَصِلَ إلي هُنا غَيري

(**يُظلِم هذا القِسم مِن المسرح لِيُضاء القِسم الأيسَر حيثُ مجلِس الوزير شاوَر ألذي نَراهُ جالساً فوقَ كُرسيه وأمامِهُ زروال وبَعض الجُنود**)

شاور : ُقل لِي يا زروال ماذا فَعل أهلُ الفسُطاط بَعدَما ألقيتَ عليهم نَبأ الضريبة الجَديدة ؟

زروال : قُلتُ لكَ سيدي شـــاوَر، لقَـــد إكفَهَـــرّت وجُوهُهُم

شاور : قلتَها قَبلَ ذلِك، وماذا بَعـــدَ ان إكفهَّـــرت وجُوهَهُم ؟ ماذا قَالوا؟ بماذا تفَوّهُوا؟

زروال : قُلتُ لكَ يا سيدي، لقَـــد، لقَـــد، لقَـــد إكفَهرّت وجُوههُم

شاور : (**في غَيظ**) فهمتُ و عَرفت أنَ وجُـــوهَهُم إكفَهـــرّت، إني أســـأَلُ عَـــن ألســـنتِهم ماذا عَن ألسنَتهِم ؟ هل سَبُّوني مـــثلاً أنـــا والخَليفة العاضِد ؟

زروال : نَعَم فَعَلوا يا سيدي

شاور : مَاذا قَالوا ؟

زروال : لقَد سَبّوا أسلافَكُم يا سيدي

شاور : إخرَس يا أحمَق، كيفَ تجرُؤ

زروال : أنت أمرتَني سيدي

شاور : (**يَملُك نفسَه وقَد غَضِب**) هَـــه، ثُم مَـــاذا حدَث بعدَ أن ألقَيتَ البيان؟

زروال : لا شئ، هَربتُ أنا والجُنود

شاور : هَربت ؟!

زروال : أنتَ تَعرِف الفُسطاطيين يا سيَدي، لَو مَكَثنا بَعدَ ذلِك لقَتَلونا وألقوا بجُثَثِنا إلي السَمَك

شاور : ألاَ تَخجَل مِمَا تَقول ؟!

زروال : لِمَاذا أخجَل، إنها الحقِيقَة

شاور : إذهَب يا زروال، إذهَبَ الآن

زروال : إلي أين يا سيدي؟

شاور : **(في غَيظ)** إلي مُعسكراتِ رجالِك طبعاً

زروال : سَمعاً وطَاعَة سيدي الوزير **(يُؤدي التَحيـــة ويَستدِير ويَخرُج)**

الحاجب : **(يَنحَني ويُؤدي التحِية)** سيدي الوزير، قائِدُ الجيش بالخارِج

شاور : قُل للقائد أن يَدخُل

القائد : **(يؤدي تحِية عَســكَرِيّة)** ســيدي الــوزير حَفَظكمُ الله ورعاكُم

شاور : تقَدَم أيُها القائِد، هاتَ مَا عِندَك

القائد : بخُصوصِ القوارير التي نتَسَلّمها مِن القزَازين، تسَلمنا حتي الآن عشرينَ ألــفِ قــارُورة، وقُمنا بتَوزِيعِها في الأمَاكِن والمَواقِــع الــتي حدّدتمُوها ويَقومُ علي حِراسَتِها أكفَأ جنُودنا

شاور : باقي عَشرة آلافٍ أخُري، ألم نَتفِق مَعهُم علي ثلاثين ألف؟

القائد : نعَم ياسيدي,سَوفَ نتَسلّمها آخِر هذا الأُسبوع,ولكِن أصحابُ الورَش يَتباطأون، وكَادوا أن يَتَوقَفوا عن الإنتاج، إنَهُم يَطلبونَ دُفعةً مِنَ المال

شاور : عليكَ بالجِباية مِنَ التُجّار أيُها القائِد، أليسَت هُناكَ ضَريبة جَديدة فُرِضَت علي النَاس ؟ إنَ التُجَار مَعهُم الأموالِ سائِلة، فَلتُحَصِلوا مِنهُم أولاً ثُم مِنَ الناس

القائد : عَفوًا سيدي الوزير لقَد طَلبتُم مِني سابقا أن أُحصِّل الضَريبة مَنَ الناسِ أولاً

شاور : وهَل حصّلتَ مِنَ الناس أيُها القائِد؟

القائد : الناسُ يَسفونَ التُرابَ فَقراً يا سيدي

شاور : ها أنتَ قد قُلت، إذَن حَصّل مِن التُجارِ أولاً، وانتَبه أيُها القائِد واستَعِدَ بجُنودِك فقَد يَهجِم الفرنجة أو جُيوش الأمير نور الدين عَلينا في أيّ وَقت

القائد : ومَاذا عَن حُقوقِ القزّازين يا سيدي الوزير

شاور : إدفَع لهُم أيُها القائِد (**يَثور**) حَصّل مِنَ الناس والتُجار وادفَع لهم ،إدفَع لهُم مَـــن مالِـــك الخَاص، إدفَع لهُم مِن جُهَنّم، مَعَكَ مُحتسب بيّت المال إفعَلوا مَا تفعَلوه، المُهم هُوَالإنتِهاء مِن تَسَلم باقي القوارير، تِلكَ القواريرسَوفَ يَتحَدثُ عَنها العَالَم، وسَوف تُرهِب أعدائنا في كل زمان ومكان

القائد : (**مُتعجباً**) تُرهِب أعداءَنا؟! كَيفَ ياسيدي؟

شاور : سَتعرِف في الوقتِ المُناسِب، والآن إذهَـــب ونَفِذ مَاأمرتُكَ به أيُها القائد

القائد : (**يَنحَني إنحِناءَةً خفِيفَـــة**) سَـــيدي الـــوزير أوامِرُكَ تُنفّذ (**يخرج**)

شاور : يَنهَض مِن علي كُرسِـــيه ويـــزرَع المكـــانَ مُنفعلاً) القزّازين يُريدونَ المَال، والعاضِد لَعِنَهُ الله هُوَ وزَبانيتِه يُريـــدونَ المَـــال، والجُنـــود يُريدونَ المَال، ونورالدين يُريدَ المَال الـــذي عَاهَدتُهُ عَليه، لَعنَةُ الله عَليهِم وعلي المَال

الحاجب : سيدي الوزير، شَيخُ تُجارِ الوُقـــوُد يَطلُـــب المُقابَلة

شاور : دَعهُ يَدخُل (**يَخرُج الحاجب**) هَاهُوَ ذا رَجُلٌ آخَر جَاءَ يَطلُبَ المَال،لَيتَني ما سَعَيتُ لهـــذِه الوزارة ولا قتلتُ المَلعُون (**ضُرغَام**)

(يُظلِم هَذَا القِسم مِن المسرح، ويُضـــاءُ القِسم الأيمَن حَيث يَجلِس حسُام وعارف وبقِية الرجال)

حسُام : (**مُمسكاً بحمَامةٍ يَفُكَ رِســـالةً مَربوطَـــة في رِجلِها**) ها هِي ذِي رِسَالة قَد وَصَلت مِـــن رِجالِنا في القاهرة

عابد : مَاذا يَقولُونَ في رَسَالتهُم يا حُسام ؟

حسُام : (**يقرأ الرِسَـــالة بعَينَيـــهِ أولاً ثُمَ يُطلِعُهـــم بفَحوَاها**) إنَهُم يُبلغونَنَا أنَ القزَازين قَد أنهُوا مُهمَتَّهُم وتسَلم جنُود شاوَر ثلاثينَ الفاً مِن القوَاريرالمُتوَسَطة الحَجم وُزَعَت علي خمسَةِ عَشرمَوقِعاً خارِج القاهرة وكُلَها مواقِـــع في الجنوب

عارف : أَلَم يعرِفوا بَعد مَاذا ســـيَفعَل شـــاوَربِتِلك القوارير؟

عابد : رُبما لتخزِينِ الغِلالِ فِيها

رجل١ : أو سَيحشونَها بالمالِ الذي سَـيَقوم بجِبَايَتِـه ليُرسِلها إلي أولياءِ نعمَتِه الفرنج

رجل ٣: أو الخَليفَة العاضِد، أو مَا فرَضَهُ عليّه الأمير نور الدين

رجل٢ : لَو كَانوا سَيَحشُونَها بالمالِ لـذَهَبُوابِهالبَيتِ المَال، ولَيسَ إلي لصَحَرَاء

عارف : الحَقُ مَعَك، لَم تُجَهّز هَذِه القوارِيرليُوضَـع فِيها المَال,وإلاّلذَهَبَت حتَي إلي دارِ الوزارة

حسُام : حَيّركَ اللهُ يا شاوَر

عارف : عَلينا أن ننطَلِق لنُنَفِذ ما اتفَقنَا عليه، وكُلَمـا أسرعنا كانَ أفضَل إنَ هَذَا المَاكِر شـاوَر لا يُمكِن أن يَتَنبَأ أحَد بِما يَنوي فِعله وهَذَا سِرُ نجَاحِه وبَقائِه

رجل١ : لِماذا لا نتَسَلل ونَستولي عَلي عدَد مِن هذِه القوارِير ؟

حسُام : وماذا سَنفعَل بِها وهِي فَارِغة

رجل١ : رُبما لَو شاهَدناها بأعيُننا لتمَكّننا مِن مَعرفةِ الغرَض الذي صُنعَت مِن أجلِه

حسُام : لقد فَعل رِجَالنُا في القـاهرة ذَلِـك فِعـلاً ولكِنَهم لَم يَصِلوا إلي شَئ

رجل٢ : لَيسَ أمَامَنا إلاّ الإنتِظار واليَقَظَة

عارف : صَدَقت، الإنتظارُ واليَقَظَة

حسُام : ولكِننا مُستَمِرُون فِي كُلِ مَا نَفعلُه لِتَنفِيـــذِ خُطَطُنا

عابد : ومَاذا عَـــن مَجمُوعَـــةِالمُطارَدة والتأدِيـــب المُختَّصَة بتأدِيب الفرنجة

حسُام : سَبَقتَني إلى الكلامِ في هَذا يا عابد، اَلليلـــة عِندَنا عمَلِيةٍ هَامَة بالقُربِ مِن القاهرة

رجل١ : هَكذا يكُون الكلام، إنَ الرِجالَ مُشـــتاقُون لِلعَمَل، ولِتأدِيب هَؤلاء الغُزَاة

حسُام : هُناكَ عَمَلِية خَاصَة لتأدِيب جَاسُوس الفِرنج **"بن مَيمون الصَائغ"** سنَخطفهُ ونأتي بـــهِ إلي الفسُطاط **(يَقولَها وهوُ يَنظُـــر إلي الشـــيخ عارف)**

عارف : هَذَا مَااتَفَقتُ عَليهِ مَعَ حسُام والليلة التَنفِيذ، وسيُسَاعِدنا فَرسانُ"القطائع"

(يُظلِم هَذَا القِسم، ويُضاء يَمين المســـرح كمَا سَبق، فنَجد الوزير شاوَر واقِفاًأمَـــامَ كرُسِيه وقَد بَدا علَيهِ الغَضَب، وأمَامَهُ قائِد الجَيش، وكذلِك زروال وبَعـــض الجُنـــود والحَرَس، وهُوَ يُخاطِب الآن زروال)

شاوَر : (**في لَهجَةٍ عَصَبية**) مَاذا تَقول يـــا زروال؟ ثلاثةُ قَتلي مِن الفرِنج وخَطف إبن مَيمُـــون الصَائِغ؟!

زروال : نَعَم يا سيدي للأسَف

شاوَر : وأينَ كُنتَ يَا زروال، وأنتَ أيُها القائِـــد ؟ مَن الذي فَعَلَ ذَلِك؟

القائد وزروال : (**كِلاهُما، يَتكَلَمان فِي وَقتٍ واحِـــد مَـــن فَرطِ ارتباكِهما**)

: إنَها عِصابَاتِ الفسُطاط يا سيدي

: فِعلاً هِيَ عَصاباتُ الفُسطاط

شاوَر : وكَيفَ يَفعلونَ ذلِك بَكُلِ هَذِه الجُرأة؟ وأينَ كُنتُم جَمِيعكُم؟

زروال : أنا لِلحق كُنتَ نائِماً يا سَيدي

شاوَر : نائم !ألاَ تَخجَل يازروال أن تَقُـــل ذَلِـــك، وأنتَ أيُها القائِد؟ أكُنتَ نائِم أيضاً ؟

القائد : لا يا سَيدي الوزير، كُنتُ مُتيقظاً رغـــمَ أنَ الوَقتَ كَانَ قُبيل الفَجرِ بقَلِيل، وكُنـــتُ في خَيمَتِي خَارِج حـــدُود القـــاهرة، أشـــرَح لِجنُودي بَعضَ الخُطَط ولَمّا تَم إبلاغِي بِمـــا حَدَثت جِئتُ فَوراً لأُبلِغكُم

شاوَر : تبلِغنا؟ تُبلِغنا هَه، كَانَ يَجـــب ألاّ تَـــأتُوني إلاّ ومَعَكُم رُؤوسَ القَتَلَة والخَاطِفين، إذهَبـــوا ولا أُريد أن أرَي وُجـــوهَكُم إلاّ بَعـــدَ أن تَأتوني بهَؤلاءِ المُجرِمين

(صَارِخاً فِيهِما) هَيا هَيا، إغرُبا عَن وَجهِـــي

(يَفزَعَان ويَخرُجَان)

زروال : **(بَعَد أن يَخرُج يَعود)** سَيدي الوزير

شاوَر : (**فِي غَضَب**) لِمَاذا عُدتَ

زروال : عفواً سَيدي الوزير، فقَط لأُذَكِرك بالقَرضِ الذي طَلَبْتُهُ، إنَ امرَأتي حَامِل.

شاوَر : **(مُندَهِشاً سَاخِراً سَاخِطاً)** مَـــاذا؟ امرأتَـــك حَامِل!

زروال : رُبما في تَؤام ياسيدي

شاوَر : **(صَارِخاً)** هَل أنتَ مَجنـــون يارَجُـــل؟ ألا تفهم؟ ألا تَعرِف أنَ البلاد. قَدتَتَعرَض لِغَزو الفرنج بسبَب تِلكَ الحادِثَة، لقَد سَمَحنـــا، أو إضطَرَرنا أن نَسمَح لِبَعضِ تُجّارِهِم ورِجَالِهم بالعَيشِ في القاهرة وبَعض البِلاد الأُخـــري لنَتَجَنَب حَربَهُم، أما الآن بعد هذا الحـــادث ربما يصل بهم الغضب أن يهجمـــوا علينـــا،

وأنت ليس في رأسك إلا زوجتك الحامـــل
إذهب يا زروال رحمك الله

زروال : عَفواً يا سيدي، لَم أكُن أعرِف أنَ الأمُورَ قَد تَصِل لِهَذا، وإن كُنتُ أري مِن جَانبيأنَهُم لَن يَقوُموا بغَزونا، فلَن يُجدِيهُم ذلِك وو..

شاور : (**يَكظِم غَيظَهُ ويُحاول أن يَبـــدو هادئـــاً، ولكنه يتوعده**) إن لَم تَذهَب سآمُر بقتلِك

زروال : (**في فَزَع وهُو يَتراَجَع خارِجاً بظَهرِه**) عَفواً سَيدي الوزير ..، عَفوا سَيدي الوزير.. عَفواً سي...

شاور : (**صارخاً**) إذهَب (**يَخرُج زروال مَرعُوبا، ثُمُ يَدورَ كالثَورِ الهَائِج، ثُمُ يَصعَد ويَجلِس علي كُرسِيهِ**) آهٍ يا فسُطاطيون، سَوفَ تَرُونَ مَن يُخَطِط أفضَل

إظلام

(اللوحة الثالثة)

المنظر : نَفس مَنظَر اللّوحَة السَابقة، حَيثُ تَظهَر سَاحة مَدينَة الفسُطاط بَبيوتَها ومَتاجِرها، وهُو المَنظَر الرئيس، إلي يَمَين المُشاهِدين غُرفَة فادية بشَكلِها السَابق، وإلي يَسَار المُتفرِج نَري مَجلِس الوزير شاوَر كمَا كانَ عَلَيه، ويُضاءُ القِسمُ الذي يَدوُر فِيهِ التَمثيل وإظلام القَسمين الآخَرَيّن بنفس الطَريقةالسابقة

الوقت : في المَساء بَعدَ أن أغلَقَت المتاجِر أبوابَها، وانقَطَعَ المَارة مِن الطَريق، تَظهَر السَاحَة غَارِقة في إضاءَةٍ زَرقاء شاحِبة.

(نَري شَبحاً يَتَلصَص علي أحدِ جَوانب المسرح، ويَتَأكَد للمُشاهِدين أنَهُ شَبَحَ إمرأة مُتَشِحَة بالسَواد تَحمِل فَوقَ كَتِفها جوَال، ثُم يَبدُو عَلّيها أنَها تَنوُء بحِملِه لِثِقَلِه، فَتُسقِطُه إلي الأرض ثُم تَبدأ في جَرِه,وبَعدَ لحظه يَظهَر شَبَحٌ آخَر يُراقب المَوقِف ومَا تَفعَلهُ المَرأة.... شَبَح المَرأة هُو لِصَفية، أمّا الشَبَح الآخَر فَهُو حسُام الذي يَظهَر مُسَلحاً بسَيفِه وخِنجَرِه)

حُسام : (**صَائحاً**) مَن؟ مَن أنتْ ؟ آمُرَك أن تَقَف

صفية : (**وهِي تخفي وَجهَها تُفَاجأ، وتَتَسَمّر في مكانِها خَوفاً**)

حُسام : (**مُقترِباً مِنها**) واضِح أنَكِ إمرأة، مَاذا تَفعلينَ في هَذا اللّيل وإلي أينَ تذهَبينَ بِهذا الجِوَال الذي تَجُرِّينَه ؟ (**لا تَنطِق**) ثمُ مَاذا يوُجد في هَذا الجِوال؟ (**لاتَنطِق أيضاً، فيُشَدِد حسُام لَهجَتَه**) إنطَقي أيُتها السيّدة إني أرتابُ مِن وَضعَكِ هَذا (**لا تَنطق أيضاً وتَلبَث سَاكِنة، فَيثوُر حسُام**) إن لَم تَتَكَلَمي فسَوفَ أجُرِّك كَمِا تِجُرينَ هَذا الجِوال إلي سِجنٍ لا تَخرُجينَ مِنهُ

صفية : إنَها المَرّة الأوُلي الَتي أراكَ فِيها مُدَجَجاً بِسِلاحِك فِي مَلابس الفِرسان

حُسام : أتَعرِفِينَني ؟!

صفية : أنتَ حسُام ، وأنا صَفية أمُ سعد

حُسام : (**مُندَهِشاً**) صفية !!!

صفية : أمُ سعد

حُسام : مَاذا تَفعَلينَ هُنا فِي هَذا الّليل ؟ ومَا هَذا الجِوال العَجيب ؟ وإلي أينَ تَذهَبين بِه ؟

صفية : (**وقَد استَرَدَت ثِقَتها**) إنَهُ مُجَرَد جوَال وأنَا إمـــرَأةٌ حُرّة أسِيرُ وقتَما أشَاء أمّا هّذا فّهُوَ جوَال، مُجَـــرَد جوال، لا تَخَف لَيسَ بِهِ قَتِيل

حُسام : مَن قَالَ أَنِي خَائِف، أنَا أسأل وعليكِ أن تُجِيبِيني

صفية : وإن رَفَضتُ أن أجُيبُك

حُسام : أنتِ للأسَف لا تَملُكِينَ إلاّ أن تُجِيبِيني

صفية : (**في تَحدٍ**) لَن أُجيبَك

حُسام : هذا عَمَلي يا صفية ولَيسَ في الأمرِ مَجَال لِلمُزاح

صفية : ومَن قَالَ أني أمزح؟ أنا لَستُ مُضـــطَرّةً أن أُشـــبِع فضُولَك، والآن دَعني لِسَبِيلي

حُسام : (**وقد بدأَت نَبرَتهُ تَخِف**) لَستُ أمـــزَح ولَســـتُ فضُولِياً، إنَهُ مِن صَمِيمِ عَمَلي أن أسأل آيّ إنسَـــان إلي أينَ يَذهَب في هذا الليل ومَاذا يَحمِل معَهُ ؟ لَـــو أنَ الذي التقاكِ أحَد زُمَلائِي فِي الكتيبة مَا تكلـــم معك إلا بسيفه (**يَقوُلَها بنُعُومَة**)

صفية : وهَا أنتَ ذَا تَحمِلَ سَيفاً فهَيا اشهِرهُ فِـــي وَجهِـــي لِترُعِبُني

حُسام : دعِينا مِن كُلِ هَذا، ولنَكتَفِ بِسؤال واحَـــد، مَـــاذا يوُجَد فِي دَاخِل هَذا الجِوَال؟ وَسُأُعِيدَها ثانِيةً، مَاذا يوُجَد في دَاخِل هَذا الجِوال ؟

صفية : (**تَقولُلَها بنَفسِ طَرِيقَتَه**) لا شَأنَ لَك بِما يوُجَـد فِي دَاخِل هَذا الجِوَال

حُسام : يَتَعَصَب ويُحاوِل أن يَتَوَجَه إلي الجِوال لِيَفتَحَه

صفية : لَو إقتَرَبتَ مِن هَذا الجِوال فسَوفَ أصرُخ وأوُقِـظ كُل أهل الفُسطاط وأتَهَمُك بِمُحاوَلـة مُـرَاوَدَتي وخَطفِي أيضاً

حُسام : (**وقَد أُسقِطَ في يَدِه**) يالَكِ مِن إمرَأة يا أمُ سَعد، إذَن إذهَبي وسَوفَ أذهَب للشيخ عارف أخُبِره بِما رأيّت لِيَتَصَرَف هوُ، إنَه قَائِدنا وأنا أنَفِذ أوامِرَه

صفية : (**وقَد بَدَت خَائِفة مِمَا سَمِعَته**) حسُام أرجُـوكَ لا تُخبِر أبي بِهَذا الأمر صَدِّقني لَيسَ في هَذا الجِوَال أي أمرٍ مُريب إنَهَ جوَالٌ بِهِ بَعض ما أملُكهُ مِـن أدَواتِ طَبخٍ، ولوَازِم البَيت (**حسُام يُنصِت ويَتفحَصَـها في فِي صَمتٍ غَيرَ مُصَدِق**) مُجَرَد لَوازِم لِلطَبخِ والبَيت

حُسام : أمَا كانَ يَكفي أن تقولي ذلك منذ البداية بدَلاً مِـن كُلِ هَذا الجَدَل، لَيسَ. مِن الذَكَاء مُمَاطَلتِك هَـذِه وأنتِ مُتأكِدة أنَ الشَك سيأخذني ولَن أترُكِك، قبلَ أن أعرِف، وحَتي لَو كُنتُ مُتأكِداً مِن أنَكِ لايُمكِن أن تَأتي بأي شَر.ولَكِن الفُضُولُ قَد مَلَكَني ولِـذا لا فَكَاك لكِ..

صفية : (**وقَد أُسقِطَ في يَدِها وجَلَسَت في يَأسٍ عَلي أحَد الحِجارَة**) سُأخبِرَك بكُلِ شَئ يا حسُام، وإنَه لَحَقٌ لَك، ولَكِنَني كُنتُ أحِبُ أن يَبقي الأمرُ سِراً، إنَ هذا الجِوال به بَعض الأدَوات مِن الفِضة الخَالِصة، شَمعِدانات، أطبَاق، صَوانٍ مِن الهِند وأكواب مَنقوشَة مُطَعَّمة بالذَهب، وأشياء أُخري مِن هَذا القَبيل، وعِندي في البَيتِ صُندوقٍ مِن الفِضة بداخِلِه حُلِي مِن الذَهَب، كُلُ هَذِه الأشياء جَمَعتُها مِن صَديقاتي القاهِريات، مِن زَوجاتِ كِبارِالتُجار والأثرياء، قَد تَبَرَعنَ بها لِكتِيبةِ الفسُطاط

حُسام : **(وقَد بَدَت عَليّه الدَهشَة البَالِغة)** مَا الذي أسمَعهُ؟ آسِف يا صفية أن أسَأتُ بِكِ الظَن، ولكِن ضَعي نَفسك مَكَاني

صفية : إنَ الحَق مَعَك ولا دَاعي للأسَف

حُسام : إنَ مَا فَعَلتيه هذا لَشئٌ عَظيم، وإني أنحَني أمَامَ هَذا الفِعل الكَريم الذي ليَس غَريباً علي ابنةِ الشيخ عارف

صفية : والآن هَل تَترُكَني أنصَرِف؟

حُسام : طبعاً طبعاً ... ولكِن ألا تُريحِيني وتُكمِلي جَمِيلك وتُخبِريني إلي أيَن؟

صفية : كُنتُ ذاهِبة بها إلي بَيتِ "الغُولي اليَمني"، فَهوُ كَما تَعرِف يُتاجر فِي هَذِه الأشياء، وأرَدتُ أن يَستبدِلَها لِي بدنانير ذَهَبيَة لأُعطِيها لَكمُ، وأنت مَـــن كنُـــت سُأعطِيها لَهُ، وكُنتُ في ضَميري نَاويَة اأن أُطلِعَـــك علي كُل ما قلتُهُ لَكَ الآن يا حسُام بَعدَ أن عَرِفـــتُ أنَكَ القَائِد والفارس (**تَقولُلَها برِقَة**)

حُسام : (**يَخجَل مِن نعُومَتِها**) إحم، هممم،، نَعم أنا القائِـــد العَسكري لِكَتيبةِ الفُسطاط ولَكِن والـــدِك الشـــيخ عارف هُو المَسئُول عَن جَمعِ الأموَال للكَتيبة

صفية : لو ذهَبتُ بها لأبي لأفَاضَ في سُؤالي

حُسام : الحَقُ مَعِك لَقَد اقتَنعَتُ بكل كلامك يا صفية، أقصد يا أم سعد

صفية : و الآن ؟

حُسام : إنطَلِقي إلي حَيث كُنتِ تَقصُدِين وسَـــوف أسِـــيرُ ورَاءَكِ لأحمِيكِ حَتَي تُنهي مُهمَتِـــك وتَعـــوَدينَ إلي البَيت

صفية : (**تَبتَسم وتَزيدَ مِن إطلاق أُنوثَتها**) شُكراً لَك أيُهـــا الفارِسَ الشَهم شُكراً لكَ يُسَاعِدها حسُام في حَملِ الجَوال ثُم تَسير في طَريقِهـــا تَتَلَفَـــت بَـــينَ حِـــين وآخَرنَحوَ حَسُام الذي يَتبَعها مُحافِظاً علي مسَـــافَةٍ بَينَهُما**ويظلم هذا القسم**

(يُضاءُ القِسمُ الأيسَرمن المسرح – بالنسبةِ للمُشاهِدِين– حَيث يجلس الوزير شاوَر فَوقَ كُرسِيه يُحِيطُ بِهِ الحُرّاس، ويقف أمام شاور رجلٌ في ملابس بلديةعَادِية ويَضَع شَالاً فَوقَ كتِفِه يَبدو أنَه يَستَخدِمهُ أحيَاناً في إخفاء وجهه، فَهُوَأحَد جوَاسِيس شاوَر

شاوَر : مُتأكِدٌ أنت مِن هَذا الَذي تَقولَهُ وتُقَدّر خُطورَتِه ؟

الجاسوس : تماماً يا سيدي الوزير، أنتُم أولياءُ نعمَتِنا وبَيني وبَينُكُم قَسَمٌ وعَهد علي الصِدق والإخلاص فِي العَمَلِ والقَول، وَإنَ لِي رَجَاء سَيدي الوزير

شاوَر : مَاذا ؟

الجاسوس : إنَ الأمَير "**حَسَن الشُجاع**" إبنَكُم الغالي، في رَيعانِ شَبابه وذِروَة حَميَتِه، وهُوَمَاجعَلَه يَندَفِع ويَقَع بسَهولَة تَحتَ تَأثيرهؤلاء الذينَ. يدّعوُنَ البُطولَة، أمّا هُو في ذاتِه شاباً طيباً نَقياً، وأُذَكِركُم سيدي أنَهُ إبنَكُم الوحِيد الذي تَبَقَي لَكُم بَعدَ أن قَتَل ضُرغَام الغَادِر أخوَيّه

شاوَر : **(يَقُف ويَسير يَمِيناً ويَساراً في غَضَب وحِيرَة وتَفكِيرٍ عَميق)** إذهب الآن ولا تَغفَل عَن كُلِ مَا

كلّفتُكَ به، (**يُؤدي الرجُل الجَاسُوس التَحيّة ثم يَنصَرِف خَارِجاً تارِكاً شاوَر فِي حَال يُحاوِلَ أن يَكظِم غَيظَه وبَينَ لحظَةٍ وأُخري يَخرُج مِنهُ مَا يُشبه عِواء الذِئب**)

شاوَر : (**يُحَدِث نَفسَه**) إذَن فالحَقِيقةِ الوَاقِعة أنَ إبني فَلذَةَ كَبدي يَتصِل بأعدَائي في كَتيبَةِ الفسُطاط ويُشاركهُم التآمُرَ ضَدَي، ربي! أغِثني، مَاذا أفعَل بعدَ أن تأكَدَ لِيَ الأمرُمِن أكثَر مِن مَصدَر؟هَل أأمُر بقَتلِه وكَما قَالَ الرجل، لَم يَعُد لِي فِي هَذا العَالَم غَيره ظَهراً ونَسلاً ؟ أهِ مِن هَذا. العَذاب (**يصعَد ويَجلِس فَوقَ كُرسِيه**) أيها الحاجب (**يَدخُل الحاجب**) أرسِلوَا ورَاءَ القائِد

الحاجب : لُحسنِ الحَظ أنهُ بالخَارِج يَطلُب مُقابَلتِكُم يا سيدي

شاوَر : دعهُ يَدخُل (**الحاجب يُؤدي التَحية ويَخرُج**)

(**لا يزال في غَضبه المَكتوم وعِوائه كالحَيوان الضَاري الذي أصُيب بسَهمِ الصَيّاد، حتي أنهُ لا ينتَبه لِدخولِ القائِد الذي أعطاهُ ظهرَه لبُرهة**)

القائد : إحمهممم، سيدي الوزير المُفَدَي

شاور : (**مُنتبهاً لِوجودِه**) إدخُل أيُها القائِد

القائد : لقَد دَخلتُ فِعلاً يا سيدي، إ ني قد جِئتُ لأُنبِـئكُم بأمرٍ خَطِير

شاور : (**يَنتبه فَجأة**) مَاذا وراءَك

القائد : إنَ الأمرَ يَتعَلق بسَيدي الأمير حسن بن شاوَر، لقَد عَلِمتُ وتأكدتُ. بالدليلِ والبُرهان أنهُ علي صِـلَةٍ وثيقة ب....

شاور : (**يقاطعهُ ويكمل له**) بالمتمردين الفسُطاطِيين

القائد : (**مُندهِشاً**) هَل علِمتُم يا سيدي؟!!

شاور : (**صارِخاً**) لقَد ثَبَتَت الرُؤيا الآن، أه، ربّاه مَاذا أفعَل؟ مَاذا أفعَل ؟

(يُظلِم هذا القِسم مِن المسرح، ويُضاء قِسم أيمَـن المُشاهِدين، حَيثُ غُرفة فادية، الوقـت صـباحاً ويظهر شطرٌ مِنَ النيل عبرَ النافذة)

(عِندما تَغمُر الإضاءة هذا القِسم نَري " فادية " أمُ جابر واقِفَة تَشُد شِبَاك الصَيد يَميناً ويَساراً، إنهـا تقومُ برَتقِ الثقوُب التي اتسَعت، بمغزَلٍ في يَدِها و لَفةٍ مِن "الدُوبار" الخَاص بذلِكَ العمَـلِ في اليـدِ الأخُري وتَفلِت اللّفةُ مِن يدِها وتَبتعِدعَنها ويَكادُ أولَهَا يَفلِت مَن المَغزَل)

فادية : (**تُنادي إبنها**) جابر، جابر، أينَ أنت ؟ جابر، جابر

جابر : (**مُطلاً مِنَ النافِذة**) نعَم يا أمُي أنا هُنا في الخارِج

فادية : ألَم أقُل لكَ ألفَ مَرّة عِندما تراني أعمَل في رَتقِ الشَبَك لا تَترُكني رُبما أحتاجُ إليك

جابر : لقد كُنت بجِوارِك وقتاً طَويلاً ولَم تَحتاجي إليّ في شئ حَتي مَلَلتُ فخَرَجتُ ألعَب

فادية : تعالَ وهاتِ تِلكَ " **البَكَرة** " التي ابتعَدَت هُناك

جابر : (**يَختفي مِن النافِذة و يَدخُل يَلتقِط "البكرة" ويُناولها لأمُهِ**) هَاهِي ذي "**البكرة**"

فادية : لم أتَمَكَن مِن مَسكِها وأنا أعمَل

جابر : مَاذا أفعَل بها إذَن ؟

فادية : ضَعها هُناك داخِل هذا الصُندوق حتي لا تَفلِت مَرةً أخُري تُشير إلي صُندُوق قَريبٌ مِنها

جابر : (**يَحمِل "البكَرَة" ويَضَعها في الصُندوق**) هَا قَد وضَعتُها، هَل أذهَب لأُكمِل لَعِبي بالخارِج ؟

فادية : يابُني، إني أرُيدَك أن تكوُنَ إلي جِواري لتُراقِبُني وأنا أعمَل في رَتقِ الشَبَك لتتعلّم ذلِك

جابر : ولِماذا أتعلم رَتقَ شِبَاكِ الصيّد ؟ أنا تَعلّمتُ صَيدَ السمَك

(**يقومُ بالتمثيل وهو يتكَلَم**) أسحَبُ الشِبَاكَ مِنَ المَركِب، أحافظ عليها ألاّ تتعَقد بِبَعضِها، ثمُ أُلقيها بِمَا تحمِله مِنَ الطوافاتِ إلي النهر، بينما أنتِ تُجَدِفين أقومُ بإنزالِها ببُطء، ثم نعُودُ ل...

فادية : أعرِف أنكَ تعلّمتَ كُلَ ذلِك,ولكِنَ الصَيّاد الماهِر يجَب أن يُتقِن عَمَلَ كُل ما يخُصَ مِهنتِه

جابر : حتي رَتقِ الشِبَاك؟!

فادية : نعَم حتي رَتقِ الشِبَاك

: (**يُسمَع صَوتُ حسُام مِنَ الخارِج**)

حُسام : (**من الخارج**) جابر، جابر..... يا أمَ جابر

فادية : (**يتَهلل وجهها**) إنه صوتُ حسُام الدين يا جابر

جابر : (**يَركُض خارِجاً ثُمَ يَعودَ ويدِه في يَدِ حسُام ويَخرُج بَعدَ أن يُدخِلهُ**)

فادية : مَرحباً يا سيد حُسام

حُسام : التحِية والسلام ياأمَ جابر، أراكِ مَشغولة

فادية : (**تترُك ما بيَدِها**) أهلاً بِك تفَضَل

حُسام : هل أُعطِلِك عَن عَمَلِك بعضَ الوَقت

فادية : إن عمَلي لا ينتَهي يا سيد حسُام، إمّا في النيلِ علي المَركِب أو علي الشاطئ أبيعُ ما يَرزقُنا اللهُ بِه، أو هُنا، أقومُ بِتجهيزِ الشِبَاك والأدَوات

حُسام : أعلَم أنكِ امرأةٌ نشِيطَة لا تكُفين عَنِ العمَل

فادية : زادت أعبائي بعدَ أن رحَلَ أبو جابر

حُسام : أنا أكُنُ لكِ كُلَ الإحترام والتقدير

فادية : شُكراً لَك، والآن بماذا جئتَ أيُها الفارِس ؟

حُسام : كالمرّةِ السَابقة يا أُم جابر، سَوفَ تصِل إلي هُنا بَعدَ قلَيل شُحنةٌ جَديدة مِن العَتاد الذي يخُصُ كتِيبَتنا لِتَقومِينَ بنقلِها بمركِب الصَيّد إلى أحدِالحُقول، في البَرِالغربي، سيَدُلِك عليه "عابد"، أرجو أن يكون عَمَلِك مَعَنا لا يُسبب لَكِ إزعَاجاً أو تَعطِيلاً

فادية : أنا التي طلَبتُ مِنَ الشيخ عارف ورَجَوتُهُ أن ألتحِق بكَتيبةِ الفسُطاط عِندما مَنَحَني ثِقتَه، وطلبَ مِني إستِخدامُكُم لهذِهِ الغُرفة في إجتماعَكُم والإنطِلاقُ مِنها للبرِ الغربي

حُسام : إنها غُرفة لها مَوقِع مُتمَيز علي ضَفةِ النيل مُباشرةً، وهِيَ أيضاً بَعيدةً عن الأعيُن

فادية : بناها شاكر زَوجي لتَكونَ مخزناً لأدواتِ الصَيد، وكُنا نستَريحُ فِيها أحياناً ونَري مِن شُرفتِها قارِبَنا في مَرساه أسفلَها (**تطلُ مِن الشُرفة**) وانا أُحِبها وأشعُرأنها كالقَصر، رغمَ حوائِطها المُتهالِكة، ولكِن يَوماً ما سُأعيدُ بناءها

حُسام : (**يَستمِع مُراقباً لها بإعجَاب**) أنتِ إمرأةً مُكافِحة ياأم جابر، ومِن حقِك أن تحلَمي، ولكِن هَل كُل حُلمِك أن تعُيدي بناءَ هذِه الغُرفة؟

فادية : (**تشرُد كعادتِها حِينَ تُشعِر وتحلَم، وتُوَجه نظرَها للنافِذة المُطلةعلي النيل**) أحلم أن أري إبني جابر شاباً مَفتولاً يافعاً...صيّاداً يَفرِد شِبَاكَهُ في النيل أنتظِرُه في الغرُوب راجعاً، تَصحَبهُ زَوجَة رائِعة عَجينتَها مِن طَميّ النيل تحضُنهُ بابتِسَامِها، وتَحمِل مَعهُ صَيّدَه، وتحمِل مَنهُ حفيداً أضُمُه إلي صَدري

حُسام : (**يُخرِجها مِن حَالتِها التي يَعرِفها عنها**) أتعَجّب مِن شَخصِيتِك ياأم جابر، إنَ الذي يَري سَواعِدك ، وقَد بدَت كسَواعِد الرِجال، ويُراقِب ماتقومِينَ به مِن عَملٍ شَاق، لا يتَخيّل لِلَحظةٍ أنَ وَجهك الصَارِم الجَاد، ليسَ إلاّقِناع لا ذنبَ لكِ في ارتِدائِه، ولكِن هَذا القِناع قِناع زائِف خَادِع يُخفي ورائِه رُوحَ امرأةٍ شاعِرة وُأنثي لا تُباريها في رِقتِها امرأة أخُري

فادية : (**تَهتَزُ أنوثتها وتبدو خَجلَة**) مَاذا ؟ (**ثُم تتَهرّب**) أقصُد مَتي ؟ مَتي يأتي السيد "عابد"، أعتقدُ أنهُ تأخّر عَن مَوعِده

حُسام : (**مُحترماً قهرُها رَغمَ شَغفِه بها**) سيَصُل الآن في أيّ لحظَه ومَعهُ شُحنة السلاح والرجَال الذين سَيُساعِدون في نَقلِها إلي المَركِب، ثمُ تفرِيغِها في المكانِ المُحدَد لها

جابر : (**يدخُل مُندفِعاً**) أمُي أمُي، لقد حضَرَ الرِجال، رأيتهُم وهُمُ الآن تحتَ التَلّة تَماماً

حُسام : سأنزِل لهُم يا أم جابر

فادية : وأنا سأستَعِدُ وألحَق بك

جابر : هل آتي معَكُم هذِه المَرّة يا أمُي؟ أم ستَرفضُين كالمَرةِ السَابقة

فادية : (**تضُمه في حَنان**) إن وجوُدَك هُنا عَملٌ مُهم يا بُنيّ، هَل نَسيتَ أنكِ ستَظل تُراقِب المَاءَ والطَرِيق وعِندما تَلمَحَ جُنوداً يأتوُنَ إلي هُنا... ها.. أكمِل، مَاذا ستفعَل ؟

جابر : أُشعِلُ الحَطَبَ الذي كَوَّمناهُ معاً علي ضَفةِ النيل، ولكِنَني انتظرتُ في المَرّةِ السَابقة ولَم يَأت أحد حتَي مَلَلت، أريدُ أن أعمَل مِثلمَا يَعمَل هؤلاء الأبطّال، أحمِل مَعَهُم العَتاد والسلاح

حُسام : (**يجلِس القرُفصاء مَمسكاً جابر مِن كَتفَيه**) إنَ مَا أنتَ مُكلّف بهِ هُو.عَملٌ عَظيم ومُهم، أنتَ تحمِينا بِمِثلِ هَذا العمَل، ولا تتَخيلهُ بَسيطاً

فادية : (**لجابر**) طعامك في الصـــندوق، ولا أوصـــيك أن تَتصَرّف في غِيابي بحكمة وهدوء فأنا أثِقُ بك

جابر : (**ويكون حسُام قد ترَكه**) كُلُ الطاعةِ لكِ يا أمُي

حُسام : (**في إعجاب**) يالَك مِن بطلٍ عظيم يا جابر، يُحيِيـــه تَحية عَسكرية ويدُقُ كَعبَهُ ويَرُدَ لهُ جـــابر التَحيـــه مُقلِداً إياه

(يُظلِم هذا القِسم مِن المسرح ويَظلُ القِسمُ يسَارَ المُشاهِدين مُظلماًأيضاً ويُضاءُ باقي المسرح حَيـــث مَنظر سَاحة مَدينة الفُسطاط) (الوَقت قُبيل الظُهر والناسُ في حركةٍ دَائِبة، بَينَ ذاَهِب وآتٍ وَواقِفٍ يَبتاعَ، أصحابُ المتاجريَعرِضون بضَائِعَهُم وبَعضُهم يَصيحُ مُنادياً ليجذِب المَارة)

(رَجُلان يتحاوَران)

رجل١ : لا شَيئَ يُباع ولا شَئ يُشتَري

رجل٢ : إن قدرَةُ الناسِ علي الشِراءِ كَادَت تَنعدِم

رجل١ : الناسُ بَينَ شَقيّ الرَحا، ضَرائِبُ العاضِـــد وشـــاوَر، وتُجار الفرنج الـــذينَ فرَضَـــهُم شـــاوَر، إنهُـــم يَرفعونَأسعارَ بِضاعَتِهِم

رجل٢ : لقَد اشترَي تُجارُ الفرنج بضَائِع التُجار المُهمة التي يَحتاجَها الناس كُلَ يَوم بأعلي الأسعَار والآن يَعرِضُونَها في الأسواق بأغلَي الأسعَار يَمضي الرَجُلان في طَرِيقِهما، بَينما نَري شَحّاذاً يَتَسَوَل مِنَ المَارَة فيَرُدَعَليه أحَدُهم : **"يحنن"**

الشحّاذ : **(يُحاول مَعَ رَجُلٍ آخر)** لله يا مُحسنين، لُقمَة لعِيالي

الرجل : كُلُنا نبحَث عَنِ اللُقم لعِيالِنا، عَليكَ وعلي القاهرة،أو الإسكندرية أو الصَعِيد أو أي مكانٍ بَعيدٍ عَنِ الفُسطاط، لَم يعُد هُنا لُقمة زائِدة لأحَد

شحّاذ آخر : **(يَقصُد نفسَ الرجُل)** حَسنة لله يا حاج، حسَنة تدخُل بها الجَنة

الرجل : لاحَولَ ولا قُوة إلا بالله، الشَحاذونَ في الفُسطاط أصبحوا أكتَرَمِنَ النَمل **(يَضرِب كفاً بكَف)**، يحنن **(تأتي إمرأةٌ شحّاذة تَقصُد عدداً مِنَ النِساءِ الواقِفاتِ أمَامَ تَاجِر قمُاش)**

الشحّاذة : حسَنة لله، ربنا يحفظ أبو **"عيالك"**، وأنتِ كَفاكي شَرَ ضُرّتِك وحمَاتك

إمرأة ١ : يحنن يا أخُتي، أنا مَا لِي ضُرّة **(تبصُق إلي يَسارِها لِتُبطِل الفأل)**

الشحَاذة : وأنتِ يا أخُتي

امرأة ٢ : (**تضحَك**) وأنا يا أُختي مَاتَت حمَاتي

امرأة ٣ : (**تبدو فظة الطبع**) إبتعدي بعيداً عَنّا، أصبحنا نحسبها بالسحتوت، أتَظُنِينَنا نَشتري؟ نَحنُ نَتَسَلي لِنُضَيِّع الوَقت.

تاجرالقماش : بعدَ كُلِ هَذا التَعَب ولَن تَشتَروا ؟ هيّا إذهبوا بَعيداَ عَنّي (**يَشد مِن أيدِيهِنَ القُماش**)

(**يَزدادُ عَددَ الشَحّاذِين والمُتسَولين في السَاحَة يُطارِدونَ المَارة الذينَ إمّا يَنهَرُونَهُم أو يَهرَبونَ ويَبتَعِدونَ عَنهُم**) تدخُل "**فادية**" مِنَ اليَمِين وتَعتلي حَجَراً وهِي تُمسك بيَدِها "قُفَة" مَليئة بالسَمَك، يَعقُبها دُخول "**صفية**" تَحمِل هِيَ الأُخرَي أيضاً "**قُفَة**" وتَصعد إلي حجرٍ مُقابلٍ لِلحَجَرِ الذي وَقَفَت فَوقَهُ "**فادية**"

فادية : أيُها الناس، يا أهلَ الفسُطاط الكِرام (**يَلتفِتُ الناسُ إليّها**) تَعالوا إليّ هُنا إسمَعوُني، ياليَتَني مُتُ قَبلَ أن أراكُم مَذلُولِين مُحتاجَين تتسَولون، تعالوا إليّا أيُها الأحَباءَ ، تعالوا خُذوا مِن أمُ جابر سَمَكَ نيلِكُم إنَهُ ليسَ صَدَقة ولا إحسان، هُوَ حقُكُم، لَم أفعَل سِوي صَيدِه ، أنتُم أهلِي وأهلَ إبني

(ينطَلقُ نَحوَها الناسُ يتنافَسونَ علي تَناوُل السَمك مِنها، بَينما يُساعِدها جابر الذي يقُف إلي جوارِها)

صفية : **(مِن فَوقَ الحجَر حيث وقَفت)** ياأهالي الفسُطاط العِظام، يامَن تُعانونَ مِن ظُلمِ شاوَر والعاضِد، ومَكرَوبَطشِ الفرنج الآنذال، صَعبٌ علي نَفسي أراكُم هَكذا، سَتزولَ تِلكَ الشِدة وتَنعَمون بخَيّر بلَدِكم مصر مِن صَعيدها لأقصَي شَمالِها، أنا صَفية بنت عارف تَعالواعِندِي أعُطيكُم ما استَطَعتُ تَدبيره مِن خَير بَلدي وبَلدِكُم مصر، هَذا خُبزَها وفوُلَها . وعَدَسَها، تعَالوا خُذوه، هَي ليسَت صَدَقة، إنَهُ حقُكم مِن حُقولِها الطَيبة. **(يَندفِعُ الناسُ نَحوَها يَتهافَتون، وإلي جوارِها إبنَها سعد يُساعِدها. وفجأة، ينطلقُ سهمٌ مجهول المصدر فيُصيبُ كَتِف صفية التي تَصرُخ وتَسقُط، ويَصرُخ " سعد" أمُي أمُي)**

فادية : **(تُلقي مَا بيَدها وتَنطَلِق صَوبَ صفية)** أمُ سعد، أمُ سعد **(ينطلِقُ الناسُ إليها وتَسندها بَعضُ النِسوَة، ويَحدُث**

هَرَج بالساحة والبعضُ يُصيحونَ و يُخَمِنونَ مِـــن أينَ انطلَقَ السَهمُ الغادِر؟)

لقد انطَلَقَ مِن فَوقَ هَذا البَيت بل مِن داخِل هَـــذا الدُكان لقد رأيتُ رَجُلاً مُلثماً يقفِز مِن سَطحِ هَـــذا البَيت إلي البَيتِ الذي خَلفَه أرسِلوا وراءَ الطَبيـــب، ولنَحمِلَها إلي بَيتِها، إنها ابنة الشيخ عارف

ـ إظلام ـ

(اللوحة الرابعة)

المنظر :نَفس تقسيم خَشبَة المسرَح في اللّوحةِ السَابقة، إلي اليَمين غُرفَة فادية، وإلي اليسَـارمَجلِس الـوزير شاوَر، وبنفسِ الأُسلوب المُتَبَع، تتِم إنارَة القِسم الذي يَجري فِيهِ التَمثيل (**القِسمُ الأيسَر مُضاء، والقِسـمُ الأيمَن مُظلِم، بَينما بَاقي المسرح سَـاحة الفسُـطاط تَغمُرها إضاءةُ اللّيل الزَرقاء، الـوزير "شـاوَر" في مَجلِسهِ فَوقَ كُرسِـيه ويَقـفُ أمَامَـهُ " القائـد" و"زروال" وعَدَد مِن الجُنود والحَرس**)

القائد : الموقِفُ الآن بالِغ الخُطُورَة سيدي الوزير

زروال : المَوقِفُ سَاخِن جدا سيدي الوزير

شاور : دع القائِد يتَكلم يا زروال، ما الجَديد عِنـدَك أيهُـا القائد ؟

زروال : نعم ما الجَديد أيُها القائد ؟

شاور : زروال

زروال : عَفواً سيدي

القائد : لقد عَسكَرَت جيوشُ الخليفة نور الدين التي يَقُودَهـا "أسد الدين شيرُكوه وابن أخيه "صـلاح الـدين" في الجَانِب الغربي مِنَ النيل، قرُبَ الجيزة

شاور : وإلي أينَ وَصَل جَيشُ الفرنج ؟

القائد : عسكَرَت جُيوشُ الفرنج جَنوبَ الفسطاط

شاور : (**يقُومُ مِن فَوقَ كُرسيه ويَزرَع المَكانَ مُتَوَتِراً**) وأنا وَحدي المَطلوب مِنِّي اتخاذ القرَار,إمَا أن أُنفِذ عَهدي معَ الفرنج وأهجم علي جَيشِ نور الدين,وفي هَذا الحَال أكونُ خَائِناً لِعَهدي مَعهُ، أو أن أبدأ بِالهجومِ علي الفرنج، مُنتَظراً إنضمَام أسد الدين وإبن أخيهِ لِلحَرب

زروال : وفي هَذِه الحالة أيضاً تكُونَ خَائِناً لِلفرنج

شاور : ألا تَعرِف كَيفَ تَصمُت يا زروال

القائد : لَم نتحَدَث بَعد عَن كتائِب الفسُطاطيين التي تُهاجِم الفرنج، وكُل الفِرَق المُهاجِمة لَهُم، مِن قُري الصَف، وفِرقَة المَوت القاهرية

زروال : التي يَتَزَعَمَها إبنك الأمير حسن شجاع حَفِظَهُ الله

شاور : (**يَتفجَر غَيظاً**) مَاذا أفعَلُ بِك يا زروال

القائد : هؤلاءِ المُهاجمون يُؤرِقون الفرنج ويَجعلونَهُم يَستَشيطونَ غَضَباً لِما يَسقُط مِنهُم مِن قَتلي كُلَ يَوم، وذلِك سَيجعَل الفرنجة يَتَعَجَلون الحَرَكة والهُجوم، ولَن يَصبِروا كثيراً

شاور : (**يزرَع المكان جَيئةً وذِهاباً**) ما هَذا المَوقِف الصَعب الذي لَم أمُرُ، به في حَياتي، أنا بَينَ شقي الرُحي، أينَما ذهَبتُ أجدُ الحَرب تَفرِض نفسَها، بَل وتَفرِض وَقتَ قِيامَها أيضاً وهَذا هوُ الأصعَب، أن تجدها مفروضة عليكَ في غَيرِ الوَقت الذي تُريدَها فِيه، أشعُر كأنَ حَجراً ضَخماً مِن أحجارِ جَبلِ المُقطَم يَتدَحرَج قادِماً نَحوي ولا أستطِع أن أوُقِفَه، يالِلمَوقِف !!

زروال : كانَ اللهُ في العونِ سيدي الوزير، إنَ أحجَارَ المُقطَم حِينَ تَسقط وتتدحرَج لا يَسعَ المرءُ إلاّ الفِرار

شاور : (**يكادُ ينفَجرغَيظاً**) لَو مُتُ بَعيداً عَن ساحةِ القِتال، سَتكونَ أنتَ سَبَب مَوتي (**ثُم إلي القائِد**) هَل يُمكن إرجاءَ اتخَاذي القرارَ للغَد أيُها القائِد ؟

القائد : قبلَ ظُهرِ الغَد سَيدي سَأكُونُ رَهنَ إشارَتِكُم والآن سأنصَرِف لأتدَبَر أمرَ قادةِ أجنحةِ الجَيش

شاور : إذهَب وادعُ اللهَ لِي أن يُوفقَني لإتخَاذِ القرارَ الصَائِب

القائد : أستودَعكُم اللهَ سيدي الوزير وإلي لَقاءِ الغَد (**يُؤدي تَحِية عَسكرية و يَدور علي عَقبيه وينصَرِف**)

شاور : (**يَدورُ جَيئةً وذهاباً مُستغرقاً في التَفكير فيصطدِم بزروال**) ماهذا؟
أما زِلتَ هُنا

زروال : لم تطلُب مِني أن أذهَب سيدي الوزير

شاور : إذهَب سيدي زروال، إذهب رحَمَـــك الله (**ثُم بقـــوَة وانفِعال**) إذهَب

زروال : (**يَرتعِد خَوفاً ويُهرول بظَهره**) ســـأذهَبُ، ســـأذهَب (**يخرُج ويَختَفي بُرهة ثُم يَعودُ مُتلصِصاً، ثُم بصَـــوتٍ مُرتعِش**) هَل آمُر بحُضورِ الجواري والرَاقِصات، رُبَمـــا يُسَرينَ عَنكُم سيدي الوزير، وو

شاور : جَواري وراقِصات يارجُل ونحنُ في هذا المَوقِف وتِلكَ الظرُوف

زروال : لتُسَري عَن نَفسك ويَروقَ بالُكُم سيدي الوزير

شاور : (**يَقترِب مِنه ثُم يُطبِق في رَقَبتِه**) هَل تعلَم مَتي سَـــيروُقَ بَالي وأنعَم بالرَاحةِ أيُها الزروال الأحمَق ؟

زروال : (**وهُو يَكادُ يَختَنق**) مَتي سيدي ؟

شاور : عِندمَا أرَي رأسَك هَذِه مُعلّقة فَوقَ رُمحٍ صَدِئ

زروال : أكادُ أختَنق سيدي الوزير

شاور : ليتَكَ تختَنق وترُيحَني، إذهَب وارسِل وراءَ شَيخ القزَازين أحضِرهُ حَالاً(يترُكِه فيركُض هارباًوهوُ يتتحَسَس عُنُقِه

زروال : (**وقَبلَ أن يَخرُج**) سأحضِرهُ، سأحضِرهُ قَبلَ أن تَقـــومَ مِن مقَامِك

شاور : (**يَضرب كفاً بِكف**) لا حَولَ ولاقوُة إلاّ بالله، مَاهَـذا الرَجُل؟

(يُظلِم هَذا القِسم مِنَ المسرح، لِيُضاءُ القِسمُ يَمين المُتفرج حَيث غرفة فادية، التي نرَاهَا تُؤدي بَعضَ أعمَالِ التَرتِيب بالغُرفة ومَعها جابر يُساعدها، ثُمُ يُسمع صَوتُ الشيخ عارف في الخَارج)

عارف : جابر، يا جابر

فادية : إنَهُ صَوت الشيخ عارف، إدَعوهُ يَدخُل ياجابر

جابر : سأخرُج إليهِ ياأمُي (**يَخرُج ثُمُ يَعود مُمسِكاً بيدِ الشيخ عارف**)

عارف : السلامُ عَليكُم

فادية : عليكمُ السلام ياشيخ عارف، تفضّل، عَفواً، أعرِف أنَ مَوعِدَ إجتِماعِ الرِجَال لَم يحن بَعد ولكِني أردتُ أن أُنظِف المَكان وأعُدُهُ، طَمِنّي علي السَيدة صفية أمُ سعد، كَيفَ أصبَح حَالها اليَوم؟

عارف : الحمدُ لله، كَادَت أن تَشفي تَماماً مِن تِلكَ الإصَابة الغَادرة

فادية : سَهمٌ غَادِر لا يُطلِقهُ إلاّ خَائِن جَبان يُذكِرُني بالسَهمِ الذي قَتَلَ زَوجي

عارف : إن بكِ شَهامة الرِجال يا أم سعد، كَفي مَافعَلتينَه مَعَ إبنتي صفية، مَن يُصَدِق أنَكِ قد حَمَلتِيها عَلي كَتِفك كمَا لَو كُنتِ تَحمِلينَ **"جابر"** إبنك، ومَشَيتي وأنتِ تَحمِلينَها كل هذِه المسَافة، مِن السَاحَة إلي بَيتِنا في" عُطُوفِ النَصر"! والله إنَ كثيراً مَن الرِجالِ لا يُمكِنهُم فِعلَ ذلِكَ، أعطاكِ اللهُ الصِحة والعَافِية

فادية : إنَ مَن إعتادَت الشَقاء وحَمل الشِباك وصَناديق السَمَك الثَقِيلَة تقدِر أن تَحمِل وتَتَحَمّل، ، كانَ في نيتي أن أقوُمَ بزيارَتِها بَعدَ تَرتيب الغُرفة وتَنظِيفها، لَقد أعدَدتُ لَها أكلَةَ سَمَك شَهيَة سَويتُها بنفسي

عارف : لقَد غَمَرتِينا بَفَضلِك يا أمُ جابر

فادية : العَفو يا شيخَ عارِف، أنتَ مثل أبي ، وصَفية أخُت لي

جابر : وسَعدُ ايضاً أخي، هَيا يا أمُي نَذهَبُ الآن إليهِم، إنَ لِبيتِهِم حَديقة، وبِها خَروفٍ جَميل أحُب أن ألعَب مَعَه أنا وسعد

عارف : (**يَضحَك**) إحتَرِس أن يَنطَحكُما أنتَ وسعد، فأضطَرُ إلي ذَبحِه قَبلَ أن يأتي العِيد

جابر : هل سَيأتي العيد ونحنُ هُنا في الفسُطاط يا جدي ؟

عارف : (**يَجلِس ويأخُذ جابر إلي جِوارِه يَتظَاهَر بِعدَمِ الفِهم**) مَاذا تَعني يا جابر؟

فادية : لقد سَمِعَ جابر كَما سَمِع كُلُ أهـــل الفسُـــطاط أنَ جَيشَ الفرِنج سَيَهجِم علي بلدنا، ولِذلِك بَدَأ بَعـــضُ الناس بالفِعل يَرحَلون قاصِدينَ القاهرة وغَيرِهـــا مِـــن مُدُن الشَمَال والغَرب خَوفاً مِنَ الحَرب

جابر : لقد عَبَرَ كَثيٌر مِنَ الناس إلي الضَفةِ الأخُري مِنَ النيـــل وكَانوا يَحمِلونَ أمتِعَتَهمُ، ومِنهُم مَن رَكَبَ مَعَنـــا في مَركِبَنا، ورَأيتهُم يَركبونَ مَراكِب أخُري تَرسُو بِجوارِ مَركِبَنا

عارف : الحَقُ يا أمَ جابر أنَ الفسُطاطَ تَعيش أصعَب أيّامَهـــا، وقَد يَهجِمُ الفرِنج في أيّ وَقت، ولكِنَنا لا نَخشَـــاهُم ومُستَعِدونَ لهُم

جابر : نَحنُ مَحظوظونَ يا جدي، فَبَيتُنا قَريبٌ مِـــنَ النيـــل ومَركِبنا تَرسو أمَامَهُ، فإذا قامَت الحَربُ سَنتمَكَن أنـــا وأُمي مِن عُبور النيل بِسُرعَةٍ قَبلَ أن يلحِق بِنا الفرِنج

فادية : هل هَذا مَا عَلّمتُكِ يا جابر؟ أن تَهرَب مِـــن سَـــاحةِ المَعرَكَة وتَترُك بَلَدَك وأهلَهَا يُواجِهونَ الفرنج وَحدَهم

عارف : (**مُداعِباً جابر**) مَا قَولَك فِي ذَلِك أيُها الفارِس ؟

جابر : أنا لا أخشَي الفرِنج، إنَما أخافُ أن يَمِسَ أمُـــي أيّ سُوء

فادية : (**تَبتَسِم**) إنَ جابرَبَطلٌ يا شيخ عارف، هُوَ فَقَط يَخشي أن يمشي سوء (**تَضحَك**) (**يُسمَعُ صَوتٌ مِنَ الخَارِج يُنادِي عَلي جابر، هُوَ صَوتُ جِرجِس شَيخ القزازين**)

عارف : إنَهُ جرجس شيخُ القزازين، دَعَيني مَعهُ يـاأم جـابر، واذهَبي إلي صَفية إن كنتِ تَرغَبين

فادية : أعتذِرعن تأخُري في الغُرفة، كُنتُ فَقط أرُتِبَها وأُنظِفها مَن أجلِكُم

عارف : ما أكرَمِك يا أم جابر!!، إنَها غرُفَتِك ونَحنُ ضُيوفِك

فادية : أصبَحَت غرُفة رِجال الفسُطاط وفِرسانِها، نصَركُم الله (**وبمكرٍ بَالِغ**) هَل، هَل عادَ حسُام مَنِ القاهرة، أسأل لأعُد لهُ طلباً، كانَ قد طَلَبَهُ مِنّي

عارف : سَيعُود اللّيلة، أعطِني مَا طَلَبَه لأوصَلَهُ إليهِ، سَوفَ يَأتي إلى هُنا بَعد وَقتٍ قَصِير

فادية : (**تَرتَبك ولكِنَها تُحاول أن تَبدو غَير ذَلِك**) لا لا، إنَهُ شَئٌ بَسيط سَأعُطِيهُ لَه حينَ أرَاه في أي وَقت

عارف : (**واضِح أنَهُ كشَف أنَها تَطمَئِن عَلي حُسام، ولكِنه لا يُظهِر ذَلِك**) كَما تَشائِين، إذهَب يا جابر أَدخِلَ الرَجُل (**يَخرُج جابر مُسرِعاً**)

فادية : **(تُغلِق صُندُوقاً كَانَت قَد أعَدَتــهُ، وتَحمِلــه فَــوقَ رَأسَها)** رَعَاكُم الله يا شيخَ عارف أنتَ وكُل رَجالِنا، سأذهَب لصفية

عارف : في أمانِ الله يا ابنَتِي

(بَعدَ بُرهَه يَدخُل جرجس يُحيي الشيخ عــارف ثُمُ يَجلِس)

كيفَ حَالُكَ يا جرجس، وكَيفَ حَال ابنَك وزَوجتك

جرجس : نَحنُ جَمِيعاً بِخَير ياشيخ عارف، كَيفَ تسيرُ الأمُــور وكَيفَ حَال الرِجال ؟ أدعُو الرَب أن يَكونَ كُل شيءٍ علي ما يُرام

عارف : كَما تَعلَم أنَ جَيشَ الفرنج مَازال يُعســكِر جَنــوبَ الفُسطاط، وشاوَر لا يُريد أن يُظهِر حُســنَ نوايــاه "لشيُركوه" الذي يُرابِض بجَيشِه غَربَ النيل في الجِيزة، ويَبدأ بَالهِجُوم علي الفرنج كمَا طَلبَ مِنهُ أسد. الدين شيركوه وابن أخِيهِ يوسُف المُلقب بصلاحِ الدين

جرجس : إلي مَتي سَيَستَمِر هَذا الوَضع مِن وِجهَةِ نَظَرك ؟

عارف : الفرنج قَصيرُو النَفَس، قَطَعَ جَيشهُم آلافَ الأميــال، وأصَابَهُم الجُنونُ مِن هَجماتِ الكتائِب عَليهِم، لِذَلِك قَد يُشعِلونَ الحَربَ في آيةِ لَحظة، وأوَل ما سَيُهاجمونَهُ هُو الفسُطاط التي يُعسكِرونَ علي مَرمَي البَصَرِ مِنها

جرجس : لَعَنَ الربُ الحروبَ ومُشعِلِيها، هَؤلاءُ الـذينَ جَـاءوا يُهاجمونَ بلادَنا باسمِ الصَليب، كاذِبونَ غَاصِـبون، الرب و الصَليبُ بَريئان مِنهُم

عارف : الآن أخبرني كَم عَدَد القوَارير التي سَلّمتمُوها لَقائِـد" شاوَر"؟ وأينَ يُخبئونَها ؟

جرجس : لقَد سَلّمَهُ الصُناعُ وأصحَابِ الورَش حَتي الآن أكثـرَ مِن ثلاثين ألفٍ مِن تِلكَ القوارير، و لَلحَق فقَد دَفَعوا حَتي الآن ثلاثةَ أرباعِ ثَمَنَها، وَهُم يا شيخَ عـارف لا يُخبئونَها، لقَد وَزّعُوها علي عِدةِ مَواقِـع في حَـوزَةِ كتَائِبهُم التي تُعسكِر في بَطنِ جَبَل المُقَطم وفي الطَريـقِ بَينَ القاهرة والفسطاط، ولَم نَعرِف حَـتي الآن مَـاذا سَيفعَلوَن بها

عارف : ولا عُيُونَنا حَتي الآن استَطاعوا أن يَعرِفوا مَاذا سَيفعَل بها "**شاوَر**"

جرجس : عَرِفتُ مِن أحدِالقزازين عِندَما ذهَبَ يُسَلِمُهُم الحِصـة التي فُرِضَ عَلَيهِ إنتاجها، أنَهُم يَدهَنونَ جَوفَهـا بمَـادةٍ سَوداءِ اللّون

عارف : (**وقَد زادَ إنتِباهَه**) ومَا هِيَ تِلكَ المَادة يا جرجس!!

جرجس : إنَهُم يَأتوُنَ بها مِنَ عُمقِ الصَحَراء وهَيَ تَتَيَبَس وتُصبِح كَالرُخام بَعدَ أن يُخلِطوها بالمَاء

عارف : (**يَحُكُ رأسَهُ مُفكِراً**) تُرَي مَا هُوَ الشَئُ الثمِين الـــذي سَتحتَوِيهِ هَذِه القُدورُ الزُجاجيَةِ العَجيبَة ؟!، يَالهُ مِـــن لُغزٍ يَجب حَلّهُ وبسُرعة يا جرجس

جرجس : إنهُ فِعلاً لُغز، هَذا المَاكِر "شاوَر" لا يَبوحَ بِما في رأسِهِ لأحَد

عارف : إنَ " شاوَر لا يَثِق بأحَد، أعَانَنا اللهُ عَلي هَذا الداهِية

جرجس : (**يُخرِج مِن طَياتِ عَباءتِه وَرَقـــةً مَلفُوفـــة، وَصُـــرّةٍ مَربوُطة**) هَذِه يا شيخ عارف خَريطة وَضّحتُ لَـــكَ فِيها الأماكِن التي وُزِّعَت عَلَيها القُدور، وعَدَد القُدُور في كُلِ مَوقِع، أمّا هَذافَهُوَبَعضُ المَال الذي جَمَعتُه مِن الإخوَة في الكَنيسَة في صَلاةِ الأحَد المَاضي

عارف : بارَكَكُم اللهُ يا جرجس، إنَ شَبابَ الكَنيسَـــة الـــذينَ يَعمَلونَ ضِمنَ الكَتيبَة يَستَبسِلونَ في الهَجَمـــاتِ ضِـــدَ الفرنج، وَقَد امتَزَجَت دِمَاؤهُم بدماءِ إخـــوَتَهُم مِـــنَ المُسلِمين

جرجس : نحنُ كُلُنا مَصريونَ يا شَيخَ عارف، وسَـــتخيبُ كُـــلُ مُحاوَلاتِ إشعَالَ الفِتنة

عارف : صَدَقت، مَهمَا حَاوَلوا بَثَ الفُرقَة وَزرعِ الفتنة هَـــؤلاءِ الفِرنجة الملاعِين، أو غَيرِهم فلَن يَفلَحوا أبداً

جرجس : (يَنهَض ويَقف عارف ويَتصافَحان ثُمَّ يتعانقان) أنـــا رَهنُ الإشارَة يا شيخ عارف ولَن أهدأ حتي آتي لَـــكَ بخَبَر تِلكَ القوارير

(يُظلِم هَذا القِسم ، لنَنتَقِل إلي سَـــاحةِ الفسُـــطاط، وَسَطَ المسرح حَيثُ يُضاءُ إضاءةً لَيّلية زَرقاء كَمـــا سَبَقَ وأشَرنا)

(الوقتُ في جَوفِ الليل والحوانيتُ مُغلقة والسَـــاحةُ خَالية تماماً)

(يَدخُل مِن اليسار ثلاثة أشباح يتَسلَلون، مُـــدجَجينَ بالسلاح ويُشهِرونَ سيُوفَهُم، ويَخطونَ خُطُواتِهِم في حَذَر وهُم يَتلفَتونَ يميناً ويساراً)

(يَظهَر شَبحَان لرَجُلين، هُما حُسام وعابد يُشـــهِرانَ سَيفيهما أيضاً، ويَتَتبَعَان الأشـــباحَ الثلاثـــة الـــذين يَشعُرون بهما فتنشَبُ مَعرَكة يَسقُط

فيها أحدُ الأشباحِ الثلاثة قَتيلاً بَينما يَنجَح حُســـام وعابد في أسرِ الآخريّنِ ونَزعَ أسلحتِهِما ثُمَّ يَقومـــانِ بتَقييدِهِما)

حُسام : (في صَوتٍ حاسِم، يُحاول أن يَتَحَكَم فِيه حـــتي لا يَعلو ويشُـــقُ السُـــكون) .... هيَا,هيَـــا، تقـــدَما،

سِيراأمامي (**ثُم لعابد**) إســـحب أنـــتَ هَـــذا القَتيـــل واخفِهِ... حتي نَعودُ و نَتَخَلَص مِن جُثَتِه

عابد : إنتظِرني لحَظات، سَأتبَعكَ حَالاً، إنتَبه لِغَدرِهِما

حُسام : لَو فَكّر أحدُهُما أن يَرمِش بعَينه سَأطَيِّرُ رأسَـــهُ فَـــوراً (**يُوَجه كلامَهُ لِلأســـيرَين المُستَســـلَمَين في رُعـــبٍ وخُنُوع**)

عابد : (**يَجُرالقَتيل ويَخرُج بِهِ خلفَ أحدِ البيوت، ويَغيـــبُ للحَظاتٍ ثُم يَعُود**) لقد أخفَيتُهُ وراءَ هَذا البَيت، هَيَـــا بنا (**يَخرُجُونَ جَمِيعهم مِن يَمينِ المسرح، الأسيرانِ و يتبَعهُما حُسام وعابد بِسَيفَيفهِما**)

ـ إظلام ـ

الفصل الثاني

(اللوحة الأولي)

المنظر : إلي يمين المَسرَح – بالنسبة للمُتفرِج – غُرفة فادية، ولكِنها هُنا تَظهَرُ مِن مَنظورٍ آخَر، حَيث نَري حائِط الغُرفَة مِن الخارِج، وجُزء مِنَ الضَفةِالمُنحَدِرَة إلي النيل فيما يشبه الدَرَج و يُستخدَم للنزُول إلي المَراكِب الراسِية، ويَعلوا جُدرانَ حائِط الغُرفَة نافذتها المَفتوُحة. إلي يَسارِ المُتفرِج في المُقدِمة، ديوان الوزير **"شاور"** كَما رَأيْنَاه في مَشاهدِ الفصل الأوَل، وكَذلِك مَنظَر سَاحة الفُسطاط في وسَطِ وعُمق المَسرح كَما سَبقَ ورأينَاها، و يُضاءُ القِسم الذي يَجري فيه التَمثِيل بِنَفسِ (**التكنيك**) الذي تَمَ في اللوحاتِ السَابقة ..

(المسرح الآنَ خافِت الإضائة عَدا الجُزء الأَيمَن حَيثُ غُرفةِ فادية

وَيَظهر شُراعُ مَركِب، وتَبدو الإضَائةُ زَرْقاء تُوحي بِأَنَها ليلةٍ قمرية، وهناك أيضَاً إضَائة صَفراء خافِتَة مُنبَعِثة مِن نَافِذةِ غُرفةفادية)

(حُسام خارِجَ الغُرفَة،جَالِسٌ عَلي إحْـدَيَ الـدرَجاتِ المُنحَدِرَة لِضَفةِ النيل، تخرُج فادية مِنَ الغُرفـة تَحمِـل مِصباحاً زيتياً خافِتاً)

فادية : مَن؟ مَن هُنا ؟

حُسام : **(مُرتَبكاً)** أنا حُسام يا أمَ جابر

فادية : **(في دهشَة)** حُسام ! ماذا تَفعل عِندك؟ ولِماذا لَم تُنـادي علي جابر لتُخبِرَنا بوجودِك ؟ **(هي الآن قد وَصَلت إليه وفي مواجَهتِه)** ماذا تفعَل عِندَ النَهرْ؟

حُسام : **(يزدادُ ارتباكُه أمَام أسئِلة فادية المُتلاحقة)** لاشئ يـا أُم جابر، لاشئ، أنا فقط أستَمْتِع بالقَمَرْ وأُفَكِر فيما وَصَلتْ إليهِ الأُمُور..و..و..

فادية : **(هيَ الآنَ في مُواجَهتِه)** أيةَ أُمُور يا حُسام تِلكَ التي أتَتْ بِكَ تَحتَ شُبَّاكِ غُرفَتَنا في هَذا الوَقتِ المتأخِرِ مِنَ الليلْ ؟ **(تَتَكَلم بجديَتَهَا المعْهوُدَة)**

حُسام : **(مُتَلَعثِماً)** كُلُ الأمور ياأمَ جابر، كُلُ الأمـور، أُمُـور الفُسطَاط وأحوَالِها، وأُمور الكَتيبَةِ وفِرسَانها، وو..

فادية : **(في دهاء وتَهَكُم معاً)** يبدو أنَ المكانَ هُنا تحتَ غُرفتِنـا يُساعِد علي التَفكير فى تلك الأمور الهامة، كُنتُ أتوَقَع أن تَثِق بي وتُصارِحُني بِما يُشْغِلَكَ أيُها الفارِس

حُسام : (**كَمَنْ ضُبطَ مُتلَبساً، ويَتَهَرَب**) لَيست لـــديَ أســـراراً لأُخفيها عنكِ يا أَمَ جابر

فادية : (**تُحاصِرَه**) ألا تَعرِف أنَ مَن يكذِبَ أمامَ النيل وفي ليلـــةٍ قَمريةٍ كهذهِ تُصِبْهُ لعنةً قاسيةً

حُسام : وهل قُلتُ شيئاً تَتَهميني عليهِ بالكَذِب ؟

فادية : تقول أنَهُ لا يُشغِلكَ شيء غَيرَأَحوَال الفُسطاط والفِرسَان

حُسام : (**في غَيرِ ثِقَة**) ن.. ن نعم

فادية : (**تُباغِتَهُ بما لا يَتَوَقَعهُ**) ومَاذا عن " صَفية " إبنةَ الشـــيخ عَارِف ؟

(**ثم تَتَهَمَزْ**) أُمُ سَعْد

حُسام : (**يَرتبكُ ارتِباكاً شَديداً**) صَفية ؟ مَاذا بها صَفية ؟

فادية : أليسَ مِن المُمْكِن أن تَكونَ هيَ مَن جَعلتْكَ تَجلِسَ هُنا في هَذا الليْل

تُناجي النيلَ والقمرَ؟

حُسام : (**رغم زِيادة ارتِباكُه إلاَ أنهُ يَتمالَـــك نَفسَـــهُ فَجْـــأة ويُواجِهَهَا**) رُبما أكونُ هُنالأُناجي النيلَ أو أبوحُ لهُ بسرٍ، ولكن لماذا تَكون صَفية هيَ السرْ

فادية : (**مُتوَجِسَة**) فمَا هوَ السرُ إذن ؟ ومَن هيَ التي..

حُسام : (**يُباغِتها**) أنتِ اِلسرُ الذي أبوحُ بَهِ للنيلِ والَقَمر، أنتِ يا فَادية

فادية : (**وقد فوجِئَت بِجُرأتِه، وتُحاوِل إِخفاءَ ابتسامة فَرحــة**) أنا ؟!

حُسام : نَعم أنتْ

فادية : (**وهي تَبتعِد عَنهُ قَليلاً وتَتَصَنعُ الغضَب**) كيفَ لــكَ أن تقولَ لِي هَذا ؟ وأَنا التي أعتَقِد أنَ فارساً مِثلُك لا وقــتَ عِندَه لمثلِ تِلكَ الأُمُور، ثم مَن تظُنُني أكون ؟ كيفَ تجــرؤ أن ...

حُسام : (**مقاطِعاً**) لا لا يا فادية، عَفواً، يا أُمَ جــابر، لا يــذهَبَنَ عقلك بعيداً فأنَا رَجُلٌ شَريف وقعَ في الحُب الشَريف

فادية : أعرِف أنكَ شابٌ شَهم، ولكِنَكَ أعَزَب وفي رَيعَانــك، وأنا أرملة تَجْتَرُ آلامَاً وأحزاناً، وعلي عاتِقِها مسئولِيةَ وَلدٍ يتيم، هو جَابِر كَما تَعرِف حُسام : يشهَدُ اللهَ أني أُحبُ جابروكأنهُ إبني

فادية : قد يكونَ حُبكَ لجابر قد أثارَ فيكَ نزوةً عابرة؟

حُسام : إن مِثلي يَعرِفُ كيفَ يُفرِق بينَ التروةَ و المشاعِرِ الصَادِقة

فادية : أنا أري تِلك المشاعِرِ مِن شاب وفارسٍ مثلُك كثيرةً علي امرأةٍ مثلي,أرمَلةً فَقيرة، صَيادة تسعيَ وراءَ رزْقَها، مثلُكَ يَستحِقُ مَن هيَ أفضل، (**وفي دهاء**) حتي لو كانَت أرمَلة،

تكون كصفيةِ بنتَ عارِف مثلاً، نَسبٌ وحَسَب,.ومال، وو، وجَمال

حُسام : **(يتهَرب)** صَفية مَرةً أُخري ؟ إني...إنـــي ...(**يُنقِـــذَهُ صوتُ جابر)**

جابر : **(وقد ظَهرَت رأسُه في النَافِذة)** أُمي، أُمي، أينَ أنتِ ؟ماذا تفعلينَ عندَ النَهر ؟

فادية : **(مُضْطَرِبَة)** جابر، أنا هُنا يا بُنيْ لا تَخَف سأَصعدُ إليك

جابر : لستُ خائفاً، أنا فقط أطمئنُ عليكِ، مَن هذا الذي يقُف إلي جوارك ؟

فادية : إنه السيد حُسام، جاءَ يَتحدث مَعـــي في أمرِهـــام، لَـــم يَستطِع الإنتظار حتي الصباح (**تقولَهـــا وهـــي تَبتَسِـــم لِحُسام في أنوثةٍ غَير مَعهودة فِيها)**

حُسام : نَعم لا أحتملُ الإنتظار، وهذا حالُ العاشِق

فادية : **(تُحذِره في حَسم)** حُسام كُف عن هذا

جابر : البطلُ حُسام هُنا، يا مرحباً **(ثم يختفي مِن النافذة ويظهر خارجاً من باب الغُرفة، ويهبطُ الدرَج ويـــنْقَضُ علـــي حُسام الذي يحمِلَهُ ويُقبلُه ثم يُنزَله إلي الأرض)**

جابر : لماذا لم تَصعَدَ إلي غرفتنا لِتلعبَ معي ؟

حُسام : (**ضاحكاً**) أنا هُنا علي ضفةِ النهرِ أنتظرُ بعضَ الرجـــال سوفَ يأتونَ من الضفةِ الأُخري بمركِبهم، وسوفَ أذهبُ معهُم في مهمةٍ عاجلة

فادية : حقاً ؟ هل أنت علي موعد لتعبُرَ النهرَ في مُهمة؟ ولمـــا لم تقُل لي ذلك؟ وأنا التي اعتقدت أنك ..

حُسام : (**مقاطعا**) لعنةُ الله علي الكَذِب والكذَابين (**يُســـرُ بِهـــا لفادية**)

فادية : (**تضحَك، ثم تنقطعُ ضحكَتِها عِنـــد سَـــماعَ صـــوتَ مِجدافٍ يَرطمُ الماءَ مَصحوباً بِصَوتِ عابد**)

عابد : (**يُسمعُ صوتَه آتياً من النهر**) حُسام، حُسام

حسام : (**مُلتفتاً للصوتِ صائِحاً**) عابد، عابد، نحنُ هُنا يا عابد

فادية : أنتَ لم تَكذِب إذَن وكُنتَ تنتظرعابد

حُسام : (**وقد وقعَ في مأزق**) صدقيني لم أكُن أعلـــمُ أن عابِـــدَ سيعودَ بِهذهِ السُرعة و لم أتفِقُ مَعهُ علي أن أنتظرَ عودتِه

فادية : سَوف أصعدُ الآن وفيما بَعد ننظرُ في أمرِ الفارسِ الولهان

حسام : أقسمُ أن ..

فادية : (**تقاطعه**) فيما بَعد (**تَصعد الدَرج ولا تلتفتَ إليه**) هيَا يا جابِر

(حسام يقف لا يجدَ ما يقوُل، ثم يأتِه صَوتَ عابد مـــن النهر)

عابد : حُسام، حُسام، أنا عابد

حسام : **(في حِنْق)** عَرِفنا أنكَ عابد، لا أعرِف لِماذا لَم يبتلعـــك النيل

ـ إظلام ـ

(اللّوحَة الثانِية)

المنظر : يتمُ إظلامُ القِسم الأيمن مِن المسرح بنفسِ طريقةِ الفصل الأول، يضاءُ القسم الذي يجري فيه التمثيل، فيضاءُوسط المسرح، حيث ساحةِمدينة الفُسطاط، فنَري أغلبَ الحوانيتِ مُغلقة، وكذلك نوافِذ البيوت، وقد خَلتالساحة من المارة تقريباً إلا مِن بعضِ الأشخاصِ الذين يعبرون من وقت لآخر، يحملون أمتعتهم، وهم الأُسر والعائلات التي تُغادر المدينة خوفاً من المعركة المنتظرة، ويصحَب هؤلاء أطفالَهم ونسائَهم وجميعهم يبدو عليهِم الحزن ...

(هناكَ إلي اليَمين رَجُلان يتحاوَران)

رجل١ : لم يسبق ورأيت الفُسطاط هكذا وقد أُغلقت حوانيتُها، وخَلت شوارِعُها، وطرقاتُها من الناس

رجل٢ : لقد رَحَلَ أكْثَر الناسِ وهاجَروا خوفاً من الحربِ الوشيكَة

رجل١ : يقولون أنَ **"عَمُوري"** قائد جيوشِ الفِرنْج قد حَضرَ بنفسه ليقودَ.المعركة

رجل٢ : سمعتُ أنه اتخذَ من حِصن بابليون القديم مَقراً له بعدَ أن احتلَهُ جنودُه

رجل١ : الليلةَ سأرحلُ إلي المَنصورة مع زَوجتي وأولادي، فهناكَ أهلَها كما تعرف

رجل٢ : أما أنا فليس لي بلداً أرحلُ إليه، فكَما تَعْلَم أنَ كُل أهلي وأهلِ زوجتي فسطاطيون. وهم فُقراء، لا يَملكون زادَ الرحيل حتيَ إلي ضفة النيل الأخري

رجل١ : ولكنها قد تَندلعُ في آيةِ لحظة يا صديقي

رجل٢ : لنا الله يا أخي، سوفَ نَختبئُ ما استطَعنا ولن يُصيبنا إلاَ ما كتبَ اللهُ لنا لقد تَمكنتُ مِن تخزينِ بعضَ قدورِ السَمنِ والعسل، وجوالٍ من الطحين لعَلَهاتَنفعَنا في الأيامِ العصيبة

رجل١ : حماكُم اللهُ ونجَاكُم يا أخي، ولكنِي أري أن تَرحلوا إلي القاهرة، فهيَ الأقرب

رجل٢ : القاهرة ؟ إن الذي يأتي مِن هُناك يحكي أنَه لم يَعُد بها مَوطئ لقَدَم، فالمُهاجرون يفترشُون الطرقاتِ ويُقيمونَ بالمساجدِ وفوقَ أسُطحِ البيوت ويَحكي البعضُ عنِ اللصوص الذينَ انتشروا فيها، يَنهبون من يقعَ تَحت أيديهم حتي في وَضحِ النهار

رجل١ : مهما كان الحالُ هُناك، فهوَ أفضل مِن انتظارِ المَوت في الفُسطاط إذا هَجَمَ الفِرنْج

رجل٢ : إدع اللهَ مَعي أن يَهجم جيشُ الخليفة نور الدين المرابِضَ غَربَ النيل قبلَ أن يَهجِم جيش الفرنْج، أو جيش الوزير الغادِر " **شَاوَر**"

رجل١ : لو حدثَ ذلك فقد أنقذَ اللهُ الفُسطاط

رجل٢ : ثلاثةُ جيوشٍ تقُف علي مشارفِ الفُسطاط تَتَرَبَصُ بها، أنقِذنا يارب (**تَظهر أُسْرَةٌ من أبٍ و أُمٍ وثلاثة أبناء صِغار يدخُلون المسرح مِنَ اليَسار يحمِلون متاعَهم ويسيرونَ مُنكسرين ويَخرُجون من يمينِ المَسرح)** إنه سالم وأُسُرتَه فَي طريقِهم إلي الفَيوم **(يلوح له)** مَعكُم اللهُ يا سالم **(يَرد سالم مُشيراً بيدِه دونَ أن يَنطِق) (تظهر أُسُرةٌ أُخُري من أب وزوجتِه وإمرأة مُسنة وأربَعة أبناء، أيضاً يحمِلون أمتعتَهم يدخلونَ من يمينِ المسرَح ويسيرُون في انكسارٍ ومذَلَة ويَخرُجون من اليَمين)**

رجل١ : هو يعقوبُ التاجِر وأسرتِه ذاهبٌ إلي الإسكَندرية، فأقاربه يقيمون هُناك (يلوحُ منادياً) مع السلامة يا يَعقوب، ستعودوُنَ إلي الفُسطاطِ قريباً إن شاءَ الله **(يستمر دُخول الأسُر المهاجرة، مِن يَمين ووَسط المسرح، ويخرُجُون بِنفسِ الشَكل المُحزِن وهم**

مَغلوبينَ علي أَمرِهِم، وتظهر عليهم علامات الذل والإنكسار)

(يدخلُ إلي المسرَح مِن اليَسار، حُسام وعابد)

عابد : كَادَت الفُسطاط تخلو مِنَ الناسِ بعدَ أن هَرَبوا فِرَاراً مِن الحرب

حسام : سَيعودونَ قريباً يا عابد، المهاجرُونَ أحبابُ الله، سوفَ يرعاهُم في غُربَتِهم

عابد : وهَل سنظلُ هكذا مَكتوفِي الأيدي في انتظارِ من سيهجم أولاً علي بلدِنا

حسام : لَسنا مكتوفينَ الأيدي، إن لَنا دَوراً نؤديه كما خَططنا لأنفُسنا نَحنُ كتائبَ مِصر، إنَنا أمامَ جيوشٍ مُنظَمة جَرارة، تَمتلِك منَ العتادِ والأسلحةِ ما لا نملُكه ولا نستطع مواجهتِه علي طَريقتِهم، وما نَفعلُه كرجالٍ وَطنيين، أننا نَحمي الناسَ وممتلكاتِهم وَنَنقَضُ علي من يَجورَ عليهِم ونُعاقبَهُ

عابد : وأينَ الناسَ ؟ لقد فَروا وتَركوا بيوتَهم وممتلكاتِهم

حسام : لم يفر كُلَ الناس، فمِنهم الشيخ، والعاجز، والأرملة التي لا حيلة لها، وكَما تَعلم ياعابد إننا نُحاول إبعادَهم عن مناطقِ الحرب والإشتباكاتِ المُتوَقَعة

عابد : هل تظُن يا حُسام أن الحربَ قد تصِلَ إلي هُنا ؟ إلي قَلب الفُسطاط ويُبطش بها؟

حسام : سواءٌ جيشُ الفرنج أو جيشُ شاور، كلاهما يحمَل صِفةَ الغدرِ والبَطش، ومن المُؤكد أنهُم لو خَلا لَهُم الأمرُ لدخلوا ليسرِقوا المَحال ويَبحَثوا عن النساء

عابد : وهل جيشُ الخليفة نور الدين الذي يَقوده الكُردي أسدُ الدين شيرُوكوه لن يفعل ذلك؟ أم أن جنودَهم من الملائِكة؟

حسام : الحربُ هي الحربٌ يا صديقي كُلَ شيءٍ فِيها مُحتَملٌ، ولكنني أَعتقِد أنَ جنود الخليفة نور الدين سوف يكونون أكثرَ التزاماً بأوامر شيرُوكوه، فَهوَ والخليفةِ يتوَدَدونَ إلي المصريين ، لَقد أوشَكَ حُكم الفاطميين علي الإنهيار، ونور الدين يطمعُ في ضَمِ مِصر ليقوي نفوذه, ويجدهافرصتة بعدأن عجَزَ شاور عن دفعِ الجِزية التي فَرَضَها عَلَيْه

(يُسمع صوتُ حوافِر جوادٍ قادم من بعيد تَنْهب الأرض وتقترِبُ رُويداً رُويداً)

عابد : تُري من جَاءَ بجوادِه يَشقُ صَمتَ المدينةِ الخاوية ؟

حسام : فلنختَبِئ، هَيا بنا خَلفَ هذا الجَدار **(يتواريان خلفَ أحدِ جُدران المنازل)**

(يدخلُ فارسٌ مترجلاً بَعدَ أن تَركِ جَوادِه خارجَ المسرح، الفارسُ مُلثَم ومُدَجَج بالسلاح، يَدورُ يَميناً ويساراً بحثاً عن أحد، والفارس هُوَ الأمير حسن شُجاع)

حسن شُجاع : مَن هُنا ؟أمَا مِن أحدٍ هُنا، **(يَرفعُ صوتَه)** أينَ أبناءِ الفُسطاطِ ورِجالِها ؟ يامَن هُنا أنا الأمير شُجاع

(يخرُج حُسام مِن مَخبأه يتبَعهُ عابِد)

حسام : إنهُ الأمير حسن الشُجاع,إبن الوزير شاور,أنت تعلم طبعاً أنه مَعنا، علي خلافِ والده، إن الأميرُ حَسن هو قائِد كَتيبةُ الموتُ التي أذاقَت جُنودَ الفِرِنْج الوَيلَ وبَثتِ فيهم الزُعرَ والرُعب حِينما حاصروا جيش شيروكوه في "بلبيس" مُنذُ عَامَين **(يَتجه إلي الأمير الفارس)** مرحباً بالأمير حسن الشُجاع، أنا حُسام الدين المَصري، وهذا زَميلي عابِد

حسن شُجاع : **(يُمد يده يصافِح كُلاً من حُسام وعابِد)** تشَرُفتَ بكُما ياأبناءَ الفُسطاط المُخلِصين

حسام : مَرحباً بِك أيُها الأميرُ الفارس، مَرحباً بِك علي أرضِ الفُسطاط الصامِدة

عابد : مرحباً بأميرِ الشُجعان وفارسِ الفِرسان

حسن شجاع : جئتُ أضَعُ كَتيبَتي تحتَ أمرَتِكَ يا حُسام الدين، ومَعي مِن المَعلومَات ماهوَ جَدٌ خَطير، وآسف أن أُبلِغكُم أنَ جيشَ أبي علي وشَكِ اجتياحَ الفُسطاط الحبيبة

حسام : إن لنا الشَرف بانضمامُكم إلينا في هذهِ الظُروف الصَعبة أيها الفارِس، ونحنُ جميعنا تحتَ أمرةِ مِصر وأهلنا المِصريين من شمالها لأقصي جنوبها

حسن شجاع : هيا إذن يا حُسام ، لِنذهَبَ إلي مكانٍ مأمونُ لنستعرِض كُلَ الأمورُ معاً، لقد فَضَلتُ أ لاَ أُرسلُ لَكُم رَسولاً ، وأن أحضرَ بنفسي لنَختَصِرُ الوَقتَ، ولنرسُمِ خِطتُنا معاً، و نَتخِذُ قراراتُنا سوياً

حسام : معروفٌ انت بشجاعتِك وجسارتِك أيها الأمير، هيا بنا

(يخرجُون جميعُهم من جهةِ اليَسار، وتخفُت الإضائة تدريجياً ولكِنها لا تُظلمَ تماماً)

ـ إظلام ـ

(اللوحة الثالثة)

المنظر : يضاءُ القسم الأيسر- بالنسبة للمتفرج – حيث ديوان الوزير "**شاور**" وهو القسم الذي سيدور فيه المشهد التمثيلي كما سبق .

يقف "**شاور**" في مقدمة المسرح، ويظهر في ملابس يغلب عليها اللون الأحمر وقد وضع علي كَتفِه عَبائةٌ سودَاء، ويظهرُ في منطِقتِه حزامٌ عريض يتدلي مِنهُ سيفٌ لامع، وكذلك خِنجَر مستقِر في غِمدِهِ، إلي يسار " **شاور** " في الخلف يقف" زروال " وبجواره قائد الجيش، وفي العُمق بعض الجنود والحَرَس..

شاور : (**بصوتٍ أجَش وعلي وجههِ ارتسمت ابتسامةٌ شيطانية شريرة**) الآن أبدأ تنفيذ خُطتي، الآن سيعرِف الجميع مَن هوُ الوزير شاور، سوف يشهد لي كل من سيقود حرباً في أي زمانٍ ومكان

زروال : (**بتفاهته المعتادة**) أنت طبعاً الأذكي والأمهَر سيدي الوزير شاور، (**ثم يوجه كلامه لقائد الجيش**) أول أمس ياسيدي القائد رأيتُ سيدي الوزير شاور يَرمي سهماً من نبلهِ فَيُصيب غُراباً كان واقفاً فوق ظهرِ بَطة تَعوم في بُحيرة القصر، رَمية فارِس قَدير، نَعم رمية فارس قدير

(القائد يتعجب، وشاور يستشيط غيظاً)

شاور : بطة وغراب! ألم أقل لك أنك عملي الأسود في هـــذه الدُنيا أيها الزروال التافه

زروال : **(يحاول الكلام)** إنني أقصد أن ...

شاور : **(صَارخاً)** إصمُت أيها المعتوه **(ثم يقترب منه فيُخيفــه)** هل أنت ضئيل العقل؟ ألا تفهم؟ أقولُ سَيشهد لي قـــادة الجيوشِ بالذكاءِ والشجاعة و الجرأة، سوف أُعلِمهم أن الحرب ليست بالسيفِ والمنجنيق فقط

زروال : **(في بلاهة)** منجنيق !!؟

القائد : أسكُت يا زروال، دَعنا نَسمع من الوزير القائد شاور في هدوء لنَفَهم خُطته

شاور : أيها القائد، هل تَسلمت السوائل الحارقة مِن تُجَارِها؟

القائد : تَسلمتها كُلها سيدي الوزير، وقسَمناهاالمجموعات كمـــا أمرتُم، ووضعناها بجوارِ القوراير الزُجاجية التي تسلمنَاها من قبل من القزَازين

شاور : الآن أُؤمُر الرجال أن يملأوا القوارير بالسوائل الحارِقـــة وأن يَحكُموا إغلاقها بحذر

القائد : ثُم ماذا نَفعل بَعدَذلِك سَيدي الوَزير ؟

شاور : إذهبوا بها بَعد غَدٍعند الشروق إلي الفُسطاط، وَوَزعوها في كُل أرجاءِ المدينة اللعينـــة، وَزعوهـــا في طُرقاتهـــا،

وزعوها بجوارِ متاجِرها، ضَعوها فوق أسطُح البيوت والكتاتيب والمساجِد والكنائِس، لا تَتركو شِبراً في الفُسطاط كلها دونَ أن تَزرعوا فِيه قواريرَ النَار، وبعد غدٍ، وعند شُروق الشمس، فليعمَل المَنجنيق عَملَهُ

زروال : ما هذا؟ منجنيق وقوارير بها سوائل حارقة، سوف يُحِدثُ هذا حريقاً ضخماً

شاور : بدأت تفهم أيها الأبلَه، تعال يازروال لا تخف (**يجذبه من كتفه ويمسكه من رقبته**) إن ديتك عندي هي قارورة تُريحَني مِنك (**زروال يَرتعِد خوفاً إذ يَصرُخ فيه شاور**) إذهَب بجنودِك إلي الفُسطاط لتُنادي في ساحاتِها وشوارِعها، أبلِغ أهلَ الفسطاط أن يَرحلوا مِنها قَبلَ شُروق بَعد غَد، بَل قَبلَ مغرِب الغَد بأمرِ الوزير شاور والخَليفة العاضِد، نَادي أنَ مَن سيُخالِف الأَمرَ ويَرحَل في الموعِد المُحدد سَوفَ يحترِق مَع الفُسطاط، نادي علي الناس، علي أهلِ الفُسطاط، علي الحيواناتِ التي فيها، علي الطيور التي تَطيرُ في سمائِها أن تُغادرها

زروال : أنا لا أعرف لغُة الحيواناتِ والطيورِ سيدي الوزير، كَيف أفعل ذلِك؟ ثُم إلي أين يَرحل أكثرَ مِن أربعين ألفاً من البشرِ من بلدٍ بين عشيةٍ وضُحاها؟

شاور : (**في ثورةِ عَارمة يُنادي**) يا سيَاف، تَعال أرِحـــني مـــن رأسِ زروال

زروال : (**يصرُخ في رُعب عِندما يَري السيَاف يتحرك قابضـــاً سيفه**) إرحَمني سيدي الوزير، سأذهبُ إلي الفسُطاط ، وليذهَب أهلُها جَميعهم إلي الجَحيم

شاور : (**يُشير إلي السيَاف الذي كان قَد تَحرك فِعلاً ســـاحباً سَيفه ُمن غِمده، فَيتراجَع**) إن مَن سَيبقي في الفسُطاط سَيبقي في النار، سَيأكُله الجَحيم، إذهبوا جميعكم ونفِذوا الأوامِر فَوراً

(**ينحني الجميع في طاعةٍ وخُضُوع**)

ـ إظلام ـ

(اللوحة الرابعة)

المنظر : يضاء القسم الأيمن بالنسبة للمتفرج، حيث غرفة فادية من خارجها كما في اللوحة الأولي من هذا الفصل، حيث يظهر جدارها الخارجي، وضفة النيل المنحدرة، والدرج المؤدي للغرفة، وتظهر بعض أشرعة المراكب الراسية في النيل ..

(يظهر حسام واقفاً أسفل الدرج بالقرب من النيل وأمامه عابد وحامد وبعض الرجال، ويدخل ألي المكان من جهة اليسار بعض الناس، رجال ونساء وأطفال يحملون أمتعتهم ، فهم من الهاربين من الفسطاط)

حسام : هل امتلأت المركب الكبيرة ياعابد ؟ أم مازال هناك مكان يتسع لهؤلاء الناس ؟

عابد : لن تتحملهم المركب كلهم، فلتصعد أسرة واحدة، أما الباقون سوف يستقلون المركب الأخـــري (**ثم يلتفت إلي الناس**) أريد أسرة من أربعة أفراد فقط، علي أن تكون أمتعتهم التي يحملونها معهم خفيفـــة حتي لا تغرق بنا المركب (**يتزاحم الناس كل منهم يريد أن يترل إلي ظهر المركب**)

حامد : لا تتدافعون هكذا، تحركوا بهدوء ونظام

حسام : سنقوم بنقلكم جميعاً لا تخافوا، وليخشي كل منَـــا علي الآخر خشيته علي نفسه، كلنا أهل وتجمعنـــا المحنة ، وأعدكم أن غربتكم بعيـــداً عـــن بلـــدكم الفسطاط لن تطول

رجل : لقد تركنا ورائنا بيوتنا وممتلكاتنا

إمرأة عجوز : تركت بيتي وبابه مكسور، من يدفعه بقدمه سيفتحه بسهولة ويسرقني

عابد : وماذا يوجد داخل بيتك تخشين عليه من السرقة

المرأة العجوز : لا شيء، أنا لا أملك شيئاً أيها الفارس

عابد : عجباً ! إذن لما تخشين أن يدفع أحدهم باب بيتك ويفتحه؟

المرأة العجوز : أنا التي تتعجب منك، إني أخشي علي بيتي نفسه، أن يحتله مُدَعٍ، إنه بيتي الذي يأويني، ورثته عن أبي، وأبي ورثه عن جدي

حسام : (**يقترب منها ويربت علي كتفها**) لا تخافي يا أمي، سنبذل جهدنا أنا وزملائي ألاَ يقترب منه أحد، أين يقع بيتك ؟

المرأة العجوز : إنه بجوار مسجد عمرو، ملاصق له تماما من الجهة القبلية

حسام : أنتي إذن أم قاسم

المرأة العجوز : نعم أنا أم قاسم، هل تعرفني يا فتي

حسام : طبعاً أعرفك، أنا حسام المصري صديق قاسم منـــذ الصغر، ألاتذكرينني كم لعبت ومرحت في بيـــتكم مع قاسم وأطفال الجيران، أين قاسم يا أمي؟

المرأة العجوز : لقد غادر إلي الإسكندرية مع زوجته وأبنائه منـــذ ثلاثة أيام

حسام : عجباً، ولماذا لم يصحبك معه، وكيف تركك

المرأة العجوز : أنا رفضت الذهاب إلي الإسكندرية، إن عظامي لا تحتمل برد البحر

حسام : (**إلي حامد**) حامد هل تمانع أن تصحب أم قاسم مع أسرتك

حامد : لا مانع أبداً، إنها مثل أمُى تماماً

حسام : سوف يصحبك حامد مع أمه وزوجته وأبنائه يا أم قاسم، وأنا أعرف كيف أبلغ قاسم ليطمئن عليك

المرأة العجوز : حماكَم اللهَّ يا بُنِي ونصَركَم

حسام : لا تكفّي عن الدعاء لنا يا أمي، هيا، يا رجال، لقد أوشَك العصر، لا بد أن نفرغ من هذا الأمر سريعاً

حامد : هيا يا أمي إن زوجتي وأبنائي في المركب الثانية، هيا آخذك إليهم

(تتكئ عليه المرأة العجوز وتخرج معه من اليمين)

حسام : وأنت يا عابد، إصعد مع الناس فوق المركب الأول، وتأكد من سلامة كل شئ، الناس والعمال ثم دعهم ينطلقون، أما باقي الناس فليتوجهوا للمركب الأخر

(يبدأ كل الموجودين في السير ويخرجون جميعهم من يمين المسرح ويبقي حسام وحده، تدخل صفية مرتبكة من اليسار ويتهلل وجههـا حين تري حسام)

صفية : حسام، حمداً لله أن وجدتك

حسام : صفية؟ ! ! ماذا بك ؟ مالك ترتجفين هكذا ؟

صفية : أبي يا حسام، الشيخ عارف

حسام : ماذا به ؟

صفية : إنهار فوقه جدار البيت وأخرجناه من تحت الأنقاض بصعوبة (**تبكي**) إنه بين الحياة والموت

حسام : إهدئي بالله عليكي، خيراً إن شاء الله، هيا بنا (**يخرجان من اليسار، وتظهر فادية في نافذة غرفة الصيد فتري حسام وصفية معاً فتخرج من الغرفة وتقف أعلي الدرج ترقبهما ، ولم تكن قد سمعت ما أتت به صفية وقالته لحسام، فتأكلها الغيرة وتطوح بقبضتها في الهواء غيظاً**)

فادية : ها أنت تذهب ورائها يا فارس الفسطاط، لقد صدق ظني

ـ إظلام ـ

(اللوحة الخامسه)

المنظر : تضاء منطقة وسط المسرح حيث متظر ساحة الفسطاط كما تم وصفها في اللوحات السابقة إلي اليسار يقف مجموعة من الرجال يتوسطهم حسام، وجميعهم يخيم عليهم الحزن وبجوارهم عدد من النساء بينهم صفية وفادية وقد اتشحن بالسواد، و نجد بعض الموجودين يجلسون علي الأحجار المتناثرة وقد تدلت رؤوسهم ، الجميع في موقف حزين فقد مات الشيخ عارف وهم لتوهم عائدون من المقابر

صفية : (**تبكي**) آه يا أبي، آه يا شيخ عارف، فليرحمك الله بحق تلك الميتة الشنعاء

فادية : (**تَربت علي كتفها تواسيها**) إهدئي يا أم سعد، لقد كان الشيخ عارف أباً لنا جميعاً والموت حق

حسام : صدقت ياأم جابر، الموت حق والشيخ عارف أب لكل الفسطاطيين

فليتغمده الله برحمته

(يتقدم الرجال يصافحون حسام يعزونه ويشدون من أذر صفية يواسونها بكلمات العزاء وينتحون بعيداً بينما يتبقي في اليسار كل من حسام وصفية وإلي جوارها فادية)

صفية : م يعد لي ظهر ولا سند، رحمك الله يا أبي

فادية : سوف أكون أنا ظهرك وسندك يا أم سعد، سنعيش معاً وسيفرح سعد برفقة إبني جابر (تقولها وهي ترسل نظرة إلي حسام الذي يهم وهو يتحرك متوتراً

حسام : رحم الله الشيخ الجليل، وتأكدي أننا جميعاً حولك يا أم سعد، نحن جميعاً في ظروفٍ صعبة ويجب علينا أن نتكاتف معاً، إن أهل الفسطاط جميعهم

متلاحمون في محنتهم الكبري وقد فقدوا كل شيء ونزحوا عن بيوتهم، فما بالك ولم يتبق غيرنا وهؤلاء الذين ترينهم، اليس بالأحري أن نتماسك ونتكاتف معاً، إن الذي مات عُرِفَ مصيره، أما الألاف من أهل الفسطاط فقد تشردوا في البلاد، رحم الله الشيخ عارف أبانا وقائدنا الذي علمنا معاني الحرية وحب بلادنا ورسم لنا طريقنا قبل أن يرحل

(يسمع صوت جلبة كبيرة وحوافر وصهيل خيول تنهب الأرض وتقترب من الساحة، فيُستَنفر كُل الموجودين من رجال ونساء ويتواري حسام وقد جذب صفية وفادية من أيديهما وخرج مسرعاً من اليسار) (يدخل عدد من الجنود وبعدهم يدخل زروال ثم عدد آخر من الجنود، فيصبح عدد الجنود المصاحبين

لزروال ضعفي عدد الموجودين من الناس)

زروال : ما هذا ؟ أين الناس ؟ أين أهل الفُسطاط ؟

أحد الناس : لم يعد في الفُسطاط إلا من يُعَدون علي أصابع اليد يا سيدي، لقد رحلوا هرباً وخوفاً من الحرب

زروال : حسناً فعلوا، ومهما يكن الأمرسألقي بيان الخليفة وأعلنه علي الموجودين (**يفرد لفافة من الورق ويقرأ**) إلي أهل الفسطاط الكرام، التحية والسلام عليكم..

أحد الناس : أي سلامٌ يا سيدي ؟

زروال : لا تقاطعني أيها الرجل وإلَا أمرت بقطع رأسك، إنه السلام الذي في البيان وهو مكتوبٌ في الورقة هكذا (**يكمل**) إنه بأمر الخليفة العاضد حفظه الله ووزيره، الأمير"شاور"المُفَدي، إخلاءَ الفُسطاط من الناسِ، رجالاً ونساء، شيوخاً وأطفال من كل أرجاءِ المدينةِ وذلك في موعد أقصاه غداً المغرب ،

ومن لا يُطِيع الأمرَ ويرحل سيُقتَل وتطيرُ رأسُـــه، عُلِم وينفذ من اللحظة التي أطوي فيها هذه الورقة (**يطوي ورقة البيان ويلفها كما كانت**) ومِنِي أنا زروال قائد شرطتكم وأمينها، أنصحكم بإطاعـــة الأمر، وأقول لكم أن جيش الوزير شـــاور علـــي مشارف الفسطاط وسوف يقتحمها بمجـــرد أن أديرَ لكم ظَهري، وهذا هو ظهري (**يدور علـــي عقبيه ويأمر الجنود بالإنصراف وينصرفون جميعاً**)

ـ إظلام ـ

(اللوحة الخامسة)

المنظر : يضاء القسم الأيمن حيث غرفة الصيادين ووسط المسرح يضاءُ أيضاً كما سنشرح، ونري علي الدرج المؤدي للنهر، عدد من الناس الذين تبقوا و لم يتمكنوا من الرحيل، قد تجمعوا في هذا المكان هرباً مما يحدث داخل المدينة وفي ساحتها التي يطغى عليها مزيج من الاضائه الحمراء و الزرقاء وظلالٍ سوداء، ونري في وسط المسرح في ساحة المدينة هرجاً ومرجاً وجنود يملأون المكان ينثرون القوارير التي تحوي السوائل الملتهبة، وأصوات صراخ وصهيل وحوافر جياد، (**ونشير أنه من الممكن الإستعانة بشاشة "سينمائية" يعرض عليها ما يجري في هذا المشهد**)

قائد الجيش : أيها الجنود، هل نثرتم كل القوارير ووزعتوها كما أمرتكم في كل مكان ؟

أحد الجنود : لقد تم الأمر يا سيدي القائد بكل دقة

القائد : **(رافعاً صوته)** والآن فليسحب قادة السرايا الجنود ليأخذوا مواقعهم علي المنجنيق، وعند الإشارة التي سأُطلقها من النفير أطلقوا كرات النار علي القوارير كما تدربتم عليها مسبقاً، هيا، هيا بكل سرعة

(ينسحب الجنود خارجين من اليمين واليسار والعمق يغادرون المكان)

(يتبقي علي المسرح جنديين من الجنود يتلفتان حولهما في حذر ثم ينتحيان إلي يسار المسرح)

الجندي الأول : هل أنت أخي حنا؟

الجندي الثاني : نعم أنا هو، أأنت أخي محمود ؟

الجندي الأول : نعم ، أسمعنى كلمة السر

الجندي الثاني : **(ينطق بكلمة السر هامساً) "محبة النيل"**

الجندي الأول : تمام ، **" محبة النيل "** هات ما عندك

الجندي الثاني : بصفتي قائد السرية التي ترابط بجوار مسجد عمرو بن العاص، أمرت رجالَي أن يفسدوا القوارير التي زرعت حول المسجد كلها، فإذا إنطلق المنجنيق فلن يحدث إلاَ ضرراً طفيفاً بالمسجد يمكن إصلاحه فيما بعد بسهولة

الجندي الثاني : وأنا يا أخي بصفتي قائد السريَة المرابِطة حولَ الكنيسة المُعلقة فعلتُ كما فعلتَ أنتَ وجنودَك، لقد أفسدنا السائل الحارق الذي في القوارير التي وضعت حول الكنيسة فخلطناه بالماء ولن تصاب الكنيسة العظيمة بأذي إنشاء الله (**يمد يده مصافحاً فيصافحه الجندي الأول ويتعانقان**) لك عهد الله

الجندي الأول : لك عهد الله

(**يتبادلان التحية ويتعانقان ثم ينصرفان مسرعيّن في اتجاهين مختلفين**)

(**بعد لحظة بعد انصراف الجنديين تبدأ كرات اللهب تتساقط في كل أرجاء الساحة، ونشير إلي الخدع أو شاشة العرض السينمائي لتنفيذ هذا المشهد من قِبَل الإخراج المسرحي**)

(**يصاحب سقوط اللهب واشتعال المدينة، أصوات صراخ وأصوات صهيل جياد وانفجارات وحوافر خيل تنهب الأرض فمن المهم أن يشعر المشاهدون بهول ما يحدث فوق**

خشبة المسرح ولمدة دقائق كافية بالإقناع يستمر الحريق ثم يظلم المسرح بكل أقسام مناظره الثلاثة)

(يظهر الوزير شاور في القسم الايسر من المسرح حيث ديوانه وهو يصرخ و يضحك في هيستريا

شاور : احترقى ايتها المدينة اللعينة احترقوا ايها الفسطاطيون، هاهاهاها إحترقوا جميعاً إحترقوا جميعاً

ـ إظلام ـ

اللوحة السادسة

المنظر : يضاء المسرح إضاءة كاملة، فنري ساحة الفسطاط وقد تحولت البيوت وكل شيء فيها إلي أنقاض محترقة يكسوها الرماد والسواد، الخراب في كل مكان، لم يتبق واقفاً شامخاً إلاّ مأذنة مسجد عمرو، وبرج الكنيسة، وقد ظهرا في وسط عمق المسرح يكسوهما اللونين الرماديّ والأسود من آثار الحريق، وتتركز عليهما إضائة بيضاء

(يدخل بعض الناس تباعاً إلي المسرح من اليمين واليسار، هم في حزنٍ وزهول يتفقدون آثار الحريق المُدمر، يتبعهم دخول حسام الدين وحامد وعابد، ثم فادية وهي تصحب إبنها جابر وبرفقتها صفية التي تمسك بيد ابنها سعد)

رجل١ : يا إلهي، ما هذا الدمار والخراب الرهيب

رجل٢ : يا أللهّ، إن الشياطين لا تفعل هذا

رجل٣ : إحترقت الفسطاط عن بكرة أبيها

رجل٤ : لم يبق واقفا فوق أرضها إلاّ مسجد عمرو بن العاص والكنيسة العريقة

رجل١ : يالها من معجزة من المُعجزات

حسام : أيها الناس، يأهل الفسطاط، المسجد والكنيسة لم يحترقا بناءً علي اتفاق تم بين جنود مصريين شرفاء من مسلمين ومسيحيين، أقول لكم هذا لتعرفوا أننا المصريون نملك الإرادة، نثق بأنفسنا، نقدر ونستطيع أن نفعل، سنعيد بناء بلدنا لن تخذلنا سواعدانا، سنعيد بناء الفسطاط وسوف تكون أزهي وأفضل مما كانت سنتكاتف كلنا معاً

جابر : (**يسير ويقف إلي جوار حسام**) سأبني معك الفسطاط

سعد : (**يفلت من يد صفية ويقف إلي جوار سعد**) وأنا أيضا سوف أشارك معكم

حسام : (**يربت عليهما**) طبعاً، سنشارك جميعنا معاً

(**يدخل رجل يركض من يمين المسرح**)

الرجل : لقد هرب جيش الفرنج وقائده "**عموري** "، رأينا بأعيننا جنودهم وهي تحمل عتادها وتفر باتجاه الشرق حيث أتوا

حسام : علمت ذلك منذ أمس، لقد هجم جيش نور الدين علي جيش الفرنج الذي يحاصر بيت المقدس، فخاف الفرنج هنا أن يهزم جيشهم هناك ورجعوا لإنقاذه

الرجل : هرب أيضاً الوزير شاورخوفاً من انتقام المصريين في القاهرة لحرقه الفسطاط وأختفي الخليفة العاضد أخر الخلفاء الفاطميين وترك قصره خاويا (**يدخل شاب مندفعاً من اليسار**)

الشاب : أيها الناس، إن جيش الأمير نور الدين يعبر النيل الآن يقوده أسد الدين شيركوه وابن أخيه صلاح الدين و لايقاومهم أحد

حسام : فليعبر النيل من يعبر، وليطمع فينا من يطمع، أما نحن المصريون سنبقي في بلادنا راسخين إلي الأبد، سوف نعيد بناء ما احترق، وستكون الفسطاط والقاهرة جسداً واحداً وكل انحاء مصر (**يرفع صوته في حماس**) من سينضم إلينا يشاركنا أيها الناس ؟ من منكم يحبها وتسري في دمه ؟

(**يقف حسام متوسطاً المسرح في شموخ ويجري إلي جواره كل من سعد وجابر**) (**تتوجه فادية لتقف إلي يمينه تتبعها صفية التي تقف إلي يساره، ويتبعهما كل الناس الموجودين علي المسرح يقفون يمين ويسار حسام**) يدخل من كل أرجاء المسرح من بين الجمهور مجموعات من الناس يتوجهون لين ضموا إلي

الموجودين، مجموعة ترتدي ملابس الصيادين، وأخري تردي ملابس الفلاحين ومعهم فؤوسهم، وآخـــرون يرتدون الملابس العربية بالعقال والجلبـــاب الأبـــيض وتأتي مجموعة أخري في الملابس النوبيـــة، جمـــيعهم يشكلون صفوفاً تحتضن المسرح بكل أرجاءه.

ـ ستار ـ

تحذير :

يحذر لإنتاج أو إستغلال هذه المسرحية – كاملة أو أي جزء يقتطـــع منها – دون الرجوع للمؤلف والحصول علي موافقته كتابياً منه ...

المؤلف : رامي كمال الدين البكري

Ramyelbakry@facebook